التصـريـح

بإثبات الأناجيل الأربعة
الاعتقاد الصحيح في المسيح

تأليف:

د / عبدالشكوربن محمد أمان العروسي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله الرحيم الرحمن، الملك القدوس الأحد الديان، منزل التوراة والزبور والإنجيل والقرآن، باعث الرسل بالبينات والهدى والفرقان، لا إله غيره، ولا رب سواه له الملك والعزة والجبروت والخلق، كل يومٍ هو في شان، لم يلد ولم يولد ولم يكن له شريكٌ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، لم يتغير ولم يتبدل، وهو على ما عليه كان وصلواته وسلامه على رسله الذين قاموا بتبليغ رسالات ربهم وبيانها كأحسن ما يكون البيان. وعلى من اهتدى بهديهم في جميع الدهور والأزمان. أما بعد/

فإن الله تعالى لم يخلق الإنسان عبثاً، ولم يتركه بعد خلقه سدى. وإنما خلقه لعبادته وحده لا شريك له، فكما أنه تعالى خلق الإنسان بلا شريك ولا معين، ورباه بنعمه الظاهرة الباطنة، ورزقه من الطيبات بلا شريك ؛ فقد أمر الإنسان على ألسنة رسله أن يعبده بلا شريك، وأنزل من أجل ذلك كتبه التي تبين ما يجب اعتقاده، وما يعبد الله تعالى به، وكيفية عبادته ومواقيتها زماناً ومكاناً، وما يجب اجتنابه مما حرم الله تعالى، وما يرتبط بذلك من وعد ووعيد، ونذارة وبشارة، وما يعقب هذه الحياة الدنيا من بعث وحساب وجزاء في يوم لا ريب فيه. كل ذلك مما بينته الرسل أحسن بيان لمن بعثوا إليهم، فاتبع من اتبع، وامتنع

عن هدى الله من امتنع، واهتدى بهداهم من اهتدى، وحاد عن سبيلهم من كفر واعتدى. وكل ذلك بعد أن قامت الحجج لله على عباده، وبلغت الرسل كل ما أمر الله بتبليغه على وفق مراده.

فمن الناس من حاربوا أنبياء الله تعالى وعادوهم، حتى بلغ بهم الكفر إلى قتل العديد منهم، كما فعل بنوا إسرائيل، ومنهم من آمن ونصر الحق، وأيد أنبياء الله تعالى، كأصحاب نبينا محمد ﷺ، وقلة من أتباع من قبله من الأنبياء. ومنهم من بهرته آيات النبي المرسل، وما خصه الله تعالى به من معجزات فغلا فيه وعدل عما جاء به من الدين الصحيح والهدي الصريح، وجعل له نسبا مع الله العزيز الحميد، وأشركه به في ربوبيته وألوهيته، وادعى أنه هو الله، وأنه ابن الله، وأنه ثالث ثلاثة، مع مخالفة ذلك لما جاء به ودعا إليه من الدين القويم، والعقل السليم. وهؤلاء هم النصارى الذين غلوا في المسيح وأطروه وخالفوا دينه، مع إعلانهم أنهم أصحابه وأحبابه.

ومع أن وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته مما جاء به موسى عليه السلام وحكمت به أنبياء بني إسرائيل ودعت إليه، حتى كان عيسى ابن مريم آخر من أرسله الله إليهم بتقوية شريعة موسى، فإن النصارى لم يعيروا ما جاء به اهتمامهم؛ إذ أنشأ أسلافهم من رجال الدين ملة اتبعوها

وشريعة ابتدعوها، وما كان لهم على ما يدينون من برهان أو دليل. بل ما يحملونه من الأسفار شاهدة على عقيدتهم بأنها مخالفة لنصوص الأناجيل المنسوبة إلى المسيح.

وفي هذا البحث دراسة للأناجيل لمعرفة مكانتها في صفوف الكتب العلمية. ثم انتقال إلى استعراض نصوصها الدالة على بشرية المسيح وعبوديته ونبوته ورسالته، مع عرض عقيدة النصارى على تلك النصوص للوصول من ذلك إلى القول الصريح، في إبطال نصوص الأناجيل الأربعة عقيدة النصارى في المسيح.

والقصد من هذا دعوة العقلاء المنصفين من النصارى إلى وقفة تأمل وتدبر ونظر فيما يعتقدون في المسيح عليه السلام، وعرض ذلك على نصوص الأناجيل، مع الموازنة بين هذه النصوص الصريحة في بشريته المحضة، وعبوديته ونبوته، وبين تلك التي بنوا عليها عقيدتهم، مخالفين بذلك صريح ما دعا إليه المسيح عليه السلام، ونصت عليه الأناجيل ودعت إليه جميع الرسل قبله، وبذلك العرض المنصف يكونون متحررين عن تقليد الآباء الذين توارثوا هذه العقيدة بلا هدى ولا كتاب منير. ولعل الله تعالى يهدي بذلك من يشاء منهم، وهو سبحانه: ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].

ولست أدعي أنني أتيت في هذا البحث بكل ما يعارض عقيدتهم في المسيح من نصوص الأناجيل على كثرتها، كما

أنني لم أورد كل ما يعتقدون فيه مما يخالف أقوال المسيح، بل أتيت في هذا البحث بعيون ما يعتقدون فيه وأسسه، مبيناً أن ذلك مخالف لصريح ما روت عنه نصوص الأناجيل، من أقوال جلية المعنى كثيرة العدد. ولم أكثر من الاستدلال على ذلك بنصوص من الكتاب والسنة؛ لمحاجتهم بما يعتقدون صحته من نصوص أناجيلهم.

ولما أمرنا الله تعالى بالدعوة إلى دينه المنزل بالحكمة والموعظة الحسنة، ونهانا عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن؛ رأيت أن أساهم بهذا البحث في دعوة النصارى إلى الحق الذي جاء به عيسى، وتضمنته أناجيلهم الأربعة، وهو الذي دعت إليه رسل الله تعالى على مر الأزمان والدهور في كل أمة، وهو الذي أمر الله تعالى محمداً ﷺ أن يجهر به ويدعو إليه أهل الكتاب، حيث قال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهذا ما قصدته من تأليف هذا البحث.

وقبل الشروع في دراسة الأناجيل؛ أرى من الجدير أن أقدم للقارئ منهم ومن غيرهم موقف أهل الإسلام من الكتب الإلهية المنزلة، ليتبين للقارئ أن المسلمين أولى الناس بالأنبياء لإيمانهم برسالتهم وكتبهم.

الكتب المنـزلة على الرسل في الإسلام:

لقد أنزل الله تعالى وحيه على أنبيائه جميعا، فبوحيه إليهم واصطفائه إياهم أصبحوا أنبياء، ثم اصطفى من بين الأنبياء رسلا كلفهم بتبليغ رسالاته، وهم الأنبياء المرسلون، وخص من بين الرسل من أنزل عليهم الكتب التي حوت ما أرسلوا به من الهدى، لتبقى بين أممهم بعد استيفاء الله آجالهم بالموت ما قدر الله لها البقاء، ومن تلك الكتب ما ذكر الله لنا أسماءها وأسماء من أنزلت عليهم من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهي التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، والزبور المنزل على داود عليه السلام، والإنجيل المنزل على عيسى بن مريم عليه السلام، والقرآن المنزل على نبينا محمد ﷺ، وصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

وقد أمر الله تعالى أهل الإسلام أن يؤمنوا بكتبه المنزلة جملة وتفصيلا، وذم الذين لا يؤمنون بها، وحكم عليهم بالضلال البعيد، وأثنى على المؤمنين بها ووعدهم أجرا كريما.

فقال تعالى في أمر المؤمنين بالإيمان بكل ما أنزل من الحق على رسله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ

عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقـال في الثناء على من آمن بما أنزل الله من الكتب والوحي: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٢].

وقال في ذم من كفر بما أنزل الله على رسله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقد عد رسول الله ﷺ الإيمان بالكتب ركنا من أركان الإيمان كما في حديث جبريل المشهور الذي سأل فيه النبي ﷺ فأجابه قائلا: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره)[١].

فمن أجل ذلك يعتبر الإيمان بالكتب المنزلة في الإسلام ركنا من أركان الإيمان التي لا يتم الإيمان إلا بالإيمان بها كلها من غير تفريق فمن لم يؤمن بالتوراة والزبور والإنجيل المنزلة على موسى وداود وعيسى عليهم السلام لم يكن مؤمنا بالقرآن، ولا يدخل فيمن آمن بمحمد ﷺ ودينه المنزل، لأن القرآن أخبر بنزولها ومن لم يؤمن بنزولها فقد كذب بالقرآن وبمن نزل عليه القرآن.

نزول التوراة والزبور والإنجيل وغيرها من الكتب:

لقد أنزل الله القرآن على خاتم الأنبياء محمد ﷺ،

---

(١) متفق عليه.

وأخبرنا فيه أنه أنزل التوراة على موسى عليه السلام، وأنزل الزبور على داود عليه السلام، وأنزل الإنجيل على عيسى ابن مريم عليه السلام، كما أنزل القرآن بعد هذه الكتب على رسوله محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤]. وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]. وقال: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]. وقال في نزول التوراة والإنجيل أيضا: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

ولقد ورد ذكر التوراة في القرآن الكريم باسمها الصريح نحو ثماني عشرة مرة، وذكر الزبور ثلاث مرات، وذكر الإنجيل اثنتا عشرة مرة. وأما باسم الكتاب فالعدد أكثر من ذلك.

وقد يراد بالكتاب في القرآن التوراة خاصة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٩]. وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥].

وقد يراد به التوراة والإنجيل والزبور وغيرها من كتب الأنبياء التي ورثها بنو إسرائيل من أنبيائهم، وإن اعتراها كثير من التغيير والتبديل؛ كما في قوله تعالى مخاطبا اليهود

والنصارى في آيات عديدة: ﴿يا أهل الكتاب﴾. وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [المائدة: ٦٥].

وقد يراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة على الرسل من غير تخصيص كما في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]. وقوله: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥]. وقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقد يراد بالكتاب القرآن الكريم خاصة وهو كثير، وذلك كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]. وقوله: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢]. وقوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. وقوله: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

نحن معشر المسلمين مدعوون إلى الإيمان بالكتب المنزلة، التي من بينها التوراة والزبور والإنجيل. ومعنى الإيمان بها؛ التصديق بأن الله تعالى أنزل تلك الكتب بالهدى والنور على أولئك الأنبياء لتهتدي بها أممهم حتى يبعث الله

محمدا ﷺ ويختم به النبوة، وينزل عليه القرآن وينسخ به الكتب والشرائع، فقضى بذلك، ونفذ حكمه بما قضى بمبعث محمد صلوات الله وسلامه عليه.

ففي الكتب المنزلة؛ أخذ الله العهد والميثاق من النبيين وأممهم أنهم إن أدركهم زمان بعثته ليؤمنن به ولينصرنه؛ فقال تعالى في بيان ذلك: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران].

وهذا الذي بينه القرآن الكريم، يوجد ما يشهد له في الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى؛ أما كتب اليهود فقد جاء في سفر المزامير المقدس عند اليهود والنصارى، والذي ينسبون معظمه إلى داود عليه السلام قوله: "الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا. هذا هو اليوم الذي صنعه الرب. نبتهج ونفرح فيه. آه يا رب خلص. آه يا رب أنقذ. مبارك الآتي باسم الرب باركناكم من بيت الرب" (١).

وأما كتب النصارى فقد جاء في إنجيل متى أن المسيح عله السلام قال لليهود: "كان إنسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه إلى

(١) مزامير ١١٨: ٢٢-٢٣.

كرامين وسافر. ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره. فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا. ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك. فأخيرا أرسل إليهم ابنه قائلا يهابون ابني. وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له: أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها. قال لهم يسوع: أما قرأتم في الكتب؛ **الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا**. لذلك أقول لكم: **إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه**"[1].

والمراد بهذا هو ختم النبوة بنبي من أمة أخرى وهو محمد ﷺ، والأمة الأخرى؛ هم بنو إسماعيل الذين نظر إليهم بنو إسرائيل نظرة احتقار بدعوى أنهم أبناء إبراهيم من الأمة، فلا يستحقون أن يرثوا مع أبناء الحرة وهم بنو إسحاق الذين ينتمي إليهم بنو إسرايل. فلما اعتدى بنو إسرائيل على أنبياء

---

(١) متى ٢١: ٣٣-٣٤.

الله المرسلين منهم؛ فقتلوا فريقا وفريقا كذبوا غضب الله عليهم ونزع منهم النبوة التي كانت فيهم حينا من الدهر، فأعطاها لأمة أخرى وهم بنو إسماعيل الذين ختم الله بناء النبوة برسول منهم. وهذا ما أكده رسول الله ﷺ حيث قال: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"[1].

وهكذا توافقت كلمات الحق ووصايا الأنبياء على الدعوة إلى الإيمان بنبي آخر الزمان الذي ختم الله به النبوة ونسخ بدينه شرائع الأنبياء السابقين الذين أخذ منهم العهد والميثاق بالإيمان به ونصرته واتباعه إن أدركهم زمانهم فقد بلغ الأنبياء ما ائتمنوا عليه من الوحي إلى أممهم البلاغ المبين كما أمرهم الله. فكما رأينا آنفا تلك هي وصية داود عليه السلام لبني إسرائيل ووصية عيسى ابن مريم لقومه مذكرا إياهم بوصية داود، ومبينا أن ذلك يعني نزع النبوة من بني إسرائيل، ووضعها في أمة أخرى.

وإلى هذا أشارت الآية الكريمة في قول الله تعالى في قول بعض المفسرين[2]:

---

(١) مزامير ١١٨ : ٢٢-٢٣.

(٢) البخاري كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٢ ص: ٢٦، وجامع البيان للطبري جـ٣ ص: ٢٢٢، والنكت والعيون: تفسير الماوردي جـ١، ص: ٣٨٣-٣٨٤، تفسير البغوي: معالم التنزيل جـ١ ص: ٤٤٦.

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فتأمل كيف توافقت الألفاظ الواردة في وصية داود عليه السلام لبني إسرائيل ووصية عيسى ابن مريم لقومه ووصية محمد ﷺ لأمته وما تضمنه البيان القرآني في هذه الآية؟! فكلمة النزع الواردة على لسان المسيح وردت كذلك في الآية الكريمة فكلمة حجر وبناؤون وردت على لسان داود وعيسى و محمد عليهم الصلاة والسلام غير أن الفرق أن الذي ورد على لسان المصطفى ﷺ: "لبنة" مكان "حجر" و: "رجل بنى بيتا" مكان "البناؤون" وليس لذلك أي أثر في المعنى، وتلك حجة بالغة لله تعالى على أهل الكتاب في أنهم يعرفون محمداً ﷺ كما يعرفون أبناءهم؛ فليتقوا الله وليتأملوا في هذه النصوص التي تدعو بعبارات صريحة إلى الإيمان به ﷺ وبما جاء به من الدين الحق.

إن دعوتنا لأهل الكتاب وغيرهم من الناس إلى الإسلام ليست دعوة إلى الخضوع لأمة الإسلام وفرض سيطرتها عليهم والاستسلام لهم وإنما هي دعوة تنطلق من حب الخير لهم ذلك الخير الذي أنزله الله لهداية البشر كافة وسعادتهم عامة، وهو دين الله تعالى الذي يستوي فيه البشر كافة كأسنان المشط؛ لا فضل لجنس على جنس، ولا للون على لون.

ونحن نوجه هذه الدعوة إلى أهل الكتاب خاصة، لأن لديهم من بقايا العلم ما ليس لغيرهم من أهل الأديان الأخرى. وبذلك أمر الله نبيه محمداً ﷺ ونحن تبعله في ذلك، حيث قال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ونتوجه إليهم أيضا عبر هذا البحث للدعوة إلى كلمة هي سواء بيننا و بينهم، كلمة هي العدل وما سواها هو الجور، كلمة بمقتضاها يكون خضوعنا واستسلامنا جميعا لله تعالى، لا يعلو أحد على أحد، فالله تعالى -كما هو الخالق للناس جميعا بلا شريك- فهو الذي يجب أن يعبده الناس جميعا بلا شريك، وهو ربهم وخالقهم ومعبودهم ومدبر أمورهم، وقابض أرواحهم عند الموت، ومجازيهم على أعمالهم بعد الموت، وهم خلقه وعبيده والمفتقرون إليه، لا غنى لأحد عنه، ولا مفر لأحد منه، ولا مجازي لهم سواه سبحانه وتعالى. فإلى هذا ندعو النصارى من دافع حب الخير لهم الذي أحببناه لأنفسنا والتزمنا به، لنكون معا على كلمة سواء هي العبودية الحقة العامة لله تعالى بموجب وحيه المنزل من غير أن يكون في ذلك لأحد فضل على أحد.

ذلك موقفنا نحن معشر المسلمين من الكتب المنزلة عامة، ومن الإنجيل المنزل على عيسى بن مريم خاصة.

ونحن معشر أهل الإسلام نؤمن وحدنا بنزول الإنجيل على عيسى ابن مريم عليه السلام في هذا العالم، والنصارى اليوم لا يؤمنون بوجود إنجيل منزل على عيسى عليه السلام، وإنما يؤمنون بأناجيل أربعة كتبها بعد المسيح أشخاص اختلف فيهم على النحو الذي سيتم ذكره في هذا البحث.

إننا معشر المسلمين- مع ما يكتنف الأناجيل الأربعة من غموض وجهالة بأسانيدها، وتدافع بين نصوصها- نجد بين طياتها بعض النصوص التي تشهد النصوص الشرعية في الإسلام بصحة معانيها، كما سبق ذكر ذلك في مسألة البشارة بنبوة محمد ﷺ في المزامير والأناجيل وشهادة الحديث الصحيح الصريح لما دلت عليه. ومن الإنصاف أن يراجع النصارى مثل هذه النصوص في أناجيلهم، وما يتفق معها من نصوص صحيحة في الإسلام.

إن الهداية ليست بالأماني والادعاء، وإنما هي بالإيمان والالتزام بوحي الله تعالى الذي توزن به الاعتقادات الصحيحة وغير الصحيحة. فمن لم يزن اعتقاده بنصوص الوحي الصحيحة الصريحة، ولم يكن عمله مطابقا لها، فقد ضل ضلالا بعيدا.

فلو كانت الهداية في الدنيا والمجازاة في الآخرة بحسب الأماني، لنال كل ذي نحلة مبتغاه ولكن ذلك كله مرده إلى دين الله المنزل، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا

أَمَانِيّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٣] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : " والمعنى في هذه الآية أن الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني ؛ ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال ، وليس كل من ادعى شيئا حصل له بمجرد دعواه ، ولا كل من قال إنه هو على الحق سمع قوله بمجرد ذلك ، حتى يكون له من الله برهان ؛ ولهذا قال تعالى : **﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به﴾** أي ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمني ، بل العبرة بطاعة الله سبحانه ، واتباع ما شرعه على ألسنة الرسل الكرام ؛ ولهذا قال بعده : **﴿من يعمل سوءا يجز به﴾** "[1] .

وهذا هو الإنصاف القرآني ، والبيان الفرقاني ، والهدي الرباني ، فبه نؤمن ونلتزم ، وإليه ندعو ونحتكم ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، جـ٢ ، ص٣٩٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

الإنجيل والأناجيل

﴿وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾القرآن الكريم .

﴿وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين﴾ القرآن الكريم .

الإنجيل:

إن الله تعالى أنزل على عيسى عليه السلام كتابا اسمه الإنجيل، يصدق بالتوراة المنزلة ويدعو إلى العمل بها، وإحياء ما اندثر من شريعة موسى عليه السلام، ولم يكن الإنجيل المنزل ناسخا للتوراة المنزلة بصفة عامة، ولكن الله تعالى خفف على بني إسرائيل بعض الأحكام التي شدد بها عليهم في شريعة موسى عقوبة لهم.

كما أخبرهم بذلك المسيح عليه السلام وحكاه الله عنه في القرآن الكريم قائلا: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]. وورد ذكر الإنجيل في القرآن اثنتي عشرة مرة.

وكلمة الإنجيل في أصلها كلمة يونانية بمعنى الحلوان، أي ما يعطى لمن جاء بالبشارة، ثم توسع في استعمالها حتى استخدمت في البشارة نفسها. أي أنها تعني في وضعها الأخير البشارة بأخبار المسيح(١).

جاء في دائرة المعارف الكتابية في معنى الإنجيل قولها: "وهي مأخوذة من الكلمة اليونانية: "إفاجيليون" ومعناها "بشارة" أو "خبر طيب". فالإنجيل إعلان الأخبار المفرحة"(٢).

---

(١) انظر يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه، تأليف بولس إلياس، ص١٤، وتاريخ الإنجيل والكنيسة لأحمد إدريس ص٦١، وانظر معجم اللاهوت الكتابي، ص١١٣، ط ثالثة، ١٩٩١م، دار المشرق - بيروت.

(٢) دائرة المعارف الكتابية، ج١، ص٤٤١، إصدار دار الثقافة بالقاهرة، طبعة ثانية، تأليف مجلس تحرير ١٩٩٦م.

والنصارى لا يؤمنون بأن الله أنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام، مع أنهم لا ينكرون نزول التوراة على موسى عليه السلام قبله. ويبدو أن عدم إيمانهم بنزول الإنجيل عليه راجع إلى اعتقادهم ألوهيته، لأنهم لو اعترفوا بذلك لأدى ذلك إلى الاعتراف بنبوته ورسالته، وحتى لا يقعوا في هذا التناقض أنكروا نزول الإنجيل عليه، ولكنهم الآن يتمسكون بأربعة أناجيل كتبت بعد المسيح عليه السلام، ويعتبرونها هي الأناجيل الصحيحة. وتعتبر هذه الأناجيل عندهم أساس العهد الجديد من كتابهم المقدس عندهم بعهديه القديم والجديد. غير أن المتأمل في واقع النصارى يرى أنهم لم يتمسكوا بما جاء في الأناجيل من النصوص الصريحة التي بينت صفات المسيح عليه السلام من بشريته وعبوديته ونبوته. وإنما أخذوا بما وضعه لهم شاؤل اليهودي الذي انقلب من يهوديته إلى التظاهر بالتنصر، ولم يأخذ شيئا من العلم من تلاميذ المسيح الأحياء في عصره، ولم يدرك المسيح عليه السلام. فكان هو الذي وضع قواعد الملة النصرانية في رسائله[1] العديدة فأحل ما أحل، وحرم ما حرم، وشرع ما شاء.

إن القرون الثلاثة الأولى لميلاد المسيح عليه السلام قد مضت ولم يكن للنصارى خلال ذلك أناجيل محدودة متفق على صحتها بينهم، ولكنهم استطاعوا في القرن الرابع

---

(١) يبلغ عدد الرسائل التي كتبها بولس أربع عشر رسالة أي إنها تزيد على نصف العهد الجديد. انظر محاضرات في النصرانية ص ٦٨,

الميلادي أن يحرموا عشرات من الأناجيل المنتشرة في تلك القرون، ويحملوا الناس على اعتبار هذه الأربعة هي الأناجيل القانونية التي يجب تقديسها والاعتراف بها دون غيرها[1]. فمنذ ذلك التاريخ اختفت الأناجيل الكثيرة التي حرمتها الكنيسة المتسلطة، ولم يعرف سبب تحريم تلك الأناجيل وإعدامها[2]، كما لم يعلم سبب فرض هذه الأناجيل الأربعة على النصارى. ولو تركت تلك الأناجيل ليقف عليها المنصفون من العلماء لكان للنصرانية غير هذا الوجه الكالح، ومن يدري فقد يكون من الأناجيل التي حرمتها الكنيسة الإنجيل المنزل على المسيح عليه السلام.

الأناجيل:

إن الأناجيل النصرانية الأربعة لم يكن واحد منها هو الإنجيل الذي أنزله الله على عبده ونبيه عيسى عليه السلام، وإنما هي كتب موضوعة في سيرته بعد رفعه. وإن واضعيها لم يكونوا ممن صحبوا المسيح عيسى عليه السلام على ما ذهب إليه المحققون من مؤرخي النصارى أنفسهم. بل إن كاتبيها لم يعلم بهم على سبيل التحقيق والتدقيق. وإن الزمن الذي كتبت فيه واللغة التي كتبت بها غير معلومة. وكذلك لم يعلم من قام بترجمتها.

(١) انظر الكتب المقدسة في ميزان التوثيق ص١٠٨ تأليف عبد الوهاب عبد السلام طويلة. وانظر تاريخ الإنجيل والكنيسة ص٦٥-٦٧ وانظر قصة الحضارة لول ديورانت جـ١١ ص٢٠٦-٢٠٧.

(٢) انظر دراسة الأناجيل الأربعة والتوراة ص ٣٢-٣٦.

ومع هذه الجهالة المطبقة على هذه الأناجيل من جميع الجوانب، فإن نصوصها في غاية التناقض والاضطراب، مما يفقد الديانة النصرانية مستندها الشرعي الذي تبني على نصوصه أصول العقيدة الإيمانية. يضاف إلى ذلك أن أكثر نصوصها منافية للعقيدة النصرانية في المسيح عليه السلام. إما لدلالتها الصريحة على وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، متفقة في ذلك مع نصوص العهد القديم الذي يؤمن به النصارى، أو لنفي الشريك عنه نفيا جليا لا يقبل التغيير والتبديل، أو بوصف المسيح بالصفات البشرية المحضة، وبالرسالة والعبودية لله تعالى، أو بوصفه بابن الإنسان في أكثر من ثمانين موضعا من الأناجيل الأربعة، مع عدم وصفه بالألوهية والربوبية.

أما الإنجيل الذي أنزله الله تعالى على عيسى بن مريم عليه السلام، فإنه اختفى ولم يوجد له أثر بين الناس. ولا يدرى هل امتدت إليه أيدي مؤلهي المسيح وأتلفته لطمس معالم التوحيد الذي دعا إليه من أول يومه، أو أتلفته يد اليهود الذين عادوه منذ ولادته إلى أن رفعه الله إليه فادعوا عند غيابه أنهم قتلوه وصلبوه، ولكنهم أرادوا ذلك وبذلوا جهودهم، فخيب الله سعيهم، وأفشل كيدهم ومكرهم، حيث شبه لهم فقاموا بقتل وصلب من ظنوا أنه المسيح، وليس الأمر كما زعموا: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ

الَّذينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨]. وإن اليهود الذين أرادوا قتل صاحب الدعوة خوفا على مراكزهم الكهنوتية من دعوته الإصلاحية، حريون بأن يقوموا بقتل دعوته بعد رفعه. وقد فعلوا ذلك إذ قاموا باضطهاد أتباعه والتنكيل بهم بتحريض السلطة الوثنية الرومانية الحاكمة، ثم بتسليط أحد دهاتهم ليضع باسم الإيمان بالمسيح مبادئ ومصادر لديانة لا أثر لها على اليهود واليهودية، وهو شاؤل الذي عرف فيما بعد عند النصارى الذين ضلوا به ببولس الرسول أو القديس بولس. وهو واضع قواعد الملة النصرانية مبتعدا بأتباعه عما جاء به المسيح من الحق. وهو كما وصفوه، رسولهم الذي أغرقهم في أوحال الوثنية الرومانية أرسله إليهم اليهود الحاقدون فصدقوا بكل ما اخترعه لهم من ترهات وأباطيل منافية للعقل السليم والنقل الصحيح لو بقي صحيحا بينهم.

إن كل من نظر في عقيدة النصارى في عيسى ابن مريم بنظرة منصفة بعقل ثاقب، يظهر له ما اكتنفها من مجافاة العقل السوي. ومن تأمل في نصوص الأناجيل وجد فيها من التناقض والتضارب ما لا يليق بكتب الوحي، ووجد فيها ما ينافي عقيدتهم في عيسى ابن مريم عليه السلام.

تقسيمات أسفار الكتاب المقدس عند النصارى:

الكتاب المقدس عند النصارى يتألف من جزأين، وهما العهد القديم؛ وهو ما تلقوه من اليهود من أسفار يبلغ عددها تسعة وثلاثين سفرا، من بينها خمسة أسفار ينسبونها إلى موسى على أنها هي التوراة، والعهد الجديد وهو ما كتب بعد المسيح وعددها سبعة وعشرون كتابا في مقدمتها الأناجيل الأربعة تتبعها رسائل يبلغ عددها ثلاثة وعشرين رسالة أكثرها لمشرع النصرانية بولس الملقب عندهم بالقديس بولس، أو بولس الرسول. كان كتابهم بقسميه القديم والجديد غير مقسم في الأصل إلى ما هو عليه. ولكن النصارى قاموا بتقسيمه بعهديه القديم والجديد في زمن متأخر. قال متَّى بهنام: "وأما الذي قسم الكتاب المقدس إلى ما هو عليه الآن هو الكردينال هوجو في سنة ١٠٤٠ للميلاد. وأما تقسيم الإصحاحات إلى أعداد فأول من أتاه في العهد القديم الراهب بجنينوس الذي ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية وطبعه في فرنسا سنة ١٥٢٧م. وفي سنة ١٥٤٥ قسم إصحاحات العهد الجديد إلى أعداد كما هي الآن روبرت أستتانوس العالم الفرنسي الذي كان من حاشية ملك فرنسا[١]".

وهذه الترقيمات والترتيبات لا علاقة لها بالمعاني. لأن

---

(١) مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية المجلد الأول ص ١٩-٢٠ تأليف متَّى بهنام.

الإصحاح قد ينته ولم ينتهي الموضوع المذكور فيه، والأعداد كذلك. وقد يطول الإصحاح الواحد أو يقصر، وكذلك الفقرات ذوات الأعداد منها ما هو طويل، ومنها ما هو قصير. وقد جرت عادة الكتاب من النصارى وغيرهم على أن يرمزوا إلى الأسفار إما بذكر اسم السفر كاملا، أو بذكر الحرفين الأول والثاني من اسم السفر الذي يعزى إليه النص، ثم يتبعون ذلك بعدد يشير إلى رقم الإصحاح الذي أخذ منه النص، ثم توضع نقطتان متحاذيتان هكذا(:) ثم يكتب رقم النص في الإصحاح. ويستثنى من هذا التقسيم الذي هو تقسيم إلى إصحاحات سفر المزامير المنسوب معظمه في العهد القديم إلى داود عليه السلام، فإنه مقسوم على مزامير كل مزمور مرقم كبقية فقرات الأسفار الأخرى. وقد قسم بعض النصارى هذه الكتب إلى فصول وقسموا كل فصل إلى أرقام، ولا توجد في نسخهم كلمة (إصحاح).

وفي المطالب الأربعة الآتية يتم استعراض ما قيل في الأناجيل الأربعة وكُتَّابها ومترجميها ولغاتها التي كتبت بها في البداية والتي ترجمتَ إليها عبر التاريخ، وذلك ليعلم القارئ وزن هذه الأناجيل وقيمتها في معيار النقد العلمي المنصف، وبذلك يستطيع أن ينظر إلى ما فيها من نصوص نظرة نزيهة صحيحة تخضع لقواعد البحث العلمي التي تمكن الباحث الملتزم بها من الوصول إلى الحكم الصحيح والنتائج المقبولة.

الفصل الأول

دراسة الأناجيل النصرانية

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: دراسة إنجيل متى

المبحث الثاني: دراسة إنجيل مرقس

المبحث الثالث: دراسة إنجيل لوقا

المبحث الرابع: دراسة إنجيل يوحنا

المبحث الخامس: الأناجيل النصرانية في ميزان المبحث العلمي

المبحث السادس: تضارب نصوص الأناجيل

المبحث الأول: دراسة إنجيل متى

هذا الإنجيل هو أول الأناجيل الأربعة، ومفتتح العهد الجديد من كتابهم المقدس. يتألف من ثمانية وعشرين إصحاحا. أوله قول كاتبه: "كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن[1] داود ابن إبراهيم"، ثم ساق سلسلة النسب من إبراهيم إلى يوسف بن يعقوب الذي زعم الكاتب أنه رجل مريم أي زوجها. وفيما يأتي تتم دراسة هذا الإنجيل في المطالب الآتية:

المطلب الأول: متّى صاحب الإنجيل: "متاوس":

تذكر المصادر التاريخية النصرانية أن متَّى الذي نسب إليه الإنجيل هو المعروف بمتَّى العشار. حيث كان قبل اتّباعه للمسيح مستخدما من قبل السلطة الرومانية الحاكمة في جباية الضرائب من المواطنين في بلدة كفر ناحوم بفلسطين. ورد ذلك في إنجيله حيث قال: "وفيما يسوع يجتاز من هناك رأى إنسانا جالسا عند مكان الجباية، واسمه متَّى فقال له: اتبعني، فقام وتبعه"[2].

والنصارى لا يختلفون أن هذا الرجل الذي كان من جباة الضرائب تحول من عمله إلى اتباع المسيح عليه السلام، فكان بذلك من تلاميذه وأتباعه الملازمين له. وبعد رفع المسيح

(١) هكذا ورد في طبعات الكتاب المقدس عندهم بإثبات الألف.
(٢) متَّى ٩:٩.

عليه السلام قام بالدعوة والتبشير في بلاد الحبشة فقتل هناك[1].

ومعظم النصارى يعتبرونه من الحواريين الاثني عشر، غير أن ذلك لم يكن موضع إجماع منهم. ولكن الذي يروونه في ذلك أنه تم وضعه مكان يهوذا الاسخريوطي الذي وصف بالخيانة -حسب روايتهم[2]-. وأخرج من الحواريين فحل متى محله في الحواريين. يقول موريس بوكاي: "ما هي شخصية متَّى... ؟ لنقول صراحة إنه لم يعد مقبولا اليوم القول إنه أحد حواريي المسيح. وبرغم ذلك يقدمه... ؟. تريكو على أنه كذلك في تعليقه على ترجمة العهد الجديد (المنشور عام ١٩٦٠م)، يقول: "اسمه متَّى واسمه قبل ذلك ليفي، وكان عشارا أو جابيا بمكتب الجمارك أو ضرائب المرور بكفر ناحوم عندما دعاه المسيح ليجعل منه أحد تلامذته" وذلك ما كان يعتقده آباء الكنيسة مثل أوريجين وجيروم وابيغان. ولكن لم يعد أحد يعتقد هذا في عصرنا[3]". يقول محمد السعدي: "ويبدو أن كاتب الموسوعة البريطانية مع هذا الرأي ويستبعد متَّى الحواري

---

(١) انظر محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ٤٣ وخلاصة تاريخ الأمة القبطية ص ٥٣.
وانظر: دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة ص ١١ إعداد محمد السعدي ١٩٨٥م.
وتفسير العهد الجديد تأليف وليم باركلي جـ١ ص ١٣ وانظر أيضاً التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص ١٨٦٠.

(٢) انظر الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ص٣٢٥-٣٢٦.

(٣) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٨٠-٨١ ط دار المعارف القاهرة. وانظر خلاصة تاريخ الأمة القبطية ص ٥٢.

كمؤلف للإنجيل المنسوب إليه، ويرى أن هذا الكتاب كان نتاج مدرسة يقودها رجل ذو معرفة ممتازة بطرق اليهود في الفهم والتعليم "[1].

ويروى أن متَّى قام بالتجول في بلاد كثيرة للدعوة إلى النصرانية مات ببلاد الحبشة سنة ٧٠م بعد أن تعرض لضرب شديد على يد أحد أعوان ملك الحبشة[2].

المطلب الثاني :كاتب إنجيل متى:

إن التقليد النصراني العام ماض على أن متّى صاحب المسيح المعروف بمتّى العشار هو كاتب هذا الإنجيل. غير أن بعضهم يرتاب في أن يكون هو الكاتب، وأن متّى آخر غير معروف هو الذي كتب الإنجيل. ويبني أصحاب هذا الرأي قولهم على عدة أمور: منها أن متّى العشار لم يكن ذا ثقافة كتابية عميقة تمكنه من كتابة الإنجيل وربطه بنصوص العهد القديم كما يظهر ذلك في كثير من أقواله. ولو كان متّى هذا ذا ثقافة واسعة بالعهد القديم لما مارس مهنة الجباية التي ينظر إليها من قبل اليهود نظرة كراهية وبغض لأنها تحمل صاحبها على ظلم الناس، وأنه يتعاون مع الحكم الأجنبي الوثني الممقوت. وكيف يقوم بهذه المهنة من تشبع بالعلم في نصوص العهد القديم. يقول ول ديورانت: " وتقول الرواية

---

(١) دراسة الأناجيل الأربعة والتوراة ص١٦-١٧.

(٢) انظر محاضرات في النصرانية ص ٤٣.

المأخوذ بها أن إنجيل متّى أقدم الأناجيل كلها، ويعتقد إيرينوس Irenaeus أنه كتب في الأصل باللغة العبرية. أي الآرامية، لكنه لم يصل إلينا إلا باللغة اليونانية. وإذ كان يبدوا لنا إنه في هذه الصورة الأخيرة يردد أقوال إنجيل مرقس، وأنه ينقل في أكبر الظن من أقوال يسوع نفسها، فإن النقاد يميلون إلى القول بأنه من تأليف أحد أتباع متّى، وليس من أقوال العشار نفسه. وحتى أكثر العلماء يرجعون به إلى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين عامي ٧٥-٩٠م "[١].

ويقول موريس بوكاي: "ولما كان اسم المؤلف غير معروف بالتحديد، فالأنسب الاكتفاء ببعض الخطوط المرسومة في إنجيل متّى نفسه. ومنها: أن الكاتب معروف بمهنته وأنه متجر في الكتب المقدسة والتراث اليهودي، وأنه يعرف ويحترم رؤساء شعبه اليهود، وإن أغلظ في خطابه لهم "[٢].

ويقول محمد السعدي نقلا عن الموسوعة البريطانية: "إن إنجيل متّى كتب بالتأكيد من أجل كنيسة يهودية مسيحية في محيط يهودي قوي، لكن كون متّى هو مؤلف الإنجيل أمر مشكوك فيه بجد "[٣].

(١) قصة الحضارة جـ١١ ص٢٠٨.

(٢) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٨١.

(٣) دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة ص١٦ نقلا عن الموسوعة البريطانية (Micro Paedia) جـ٦ ص٦٩٧ ط١٩٨٣م وراجع تاريخ الإنجيل والكنيسة لأحمد إدريس ص٦٨-٦٩.

من هذا يتبين أن إنجيل متّى لم يعرف كاتبه على وجه اليقين، أهو متى العشار سابقا، أم هو متى آخر، أو شخص آخر مجهول الاسم والهوية؟![1] كل هذا وارد. والقول بأن متى العشار هو الكاتب قول لا يستند إلى دليل.

المطلب الثالث: لغة إنجيل متَّى الأصلية:

اختلف مؤرخو النصارى وعلماء دينها في اللغة الأولى التي كتب بها إنجيل متَّى، فقال الأكثرون إنه كتب بالعبرية، ولكنه لم يعرف إلا باليونانية[2]. وذهب آخرون وهم قلة على أنه قد كتب باليونانية أو السريانية[3].

ومع هذا الاختلاف في اللغة الأولى التي كتب بها هذا الإنجيل فإن من المتفق عليه بينهم أنه ما عرف إلا باليونانية. ويرى الذين يقولون أنه كتب بالعبرانية أو السريانية، أن اليونانية التي عرف بها هي التي ترجم إليها الأصل، وأما الأصل فقد فُقد حيث ضاع في زمانه[4].

قال محمد السعدي: "جاء في الموسوعة البريطانية أن باباس (papias) أسقف هيروبولس (hieropolis) المتوفى عام ١٣٠م؛ قال: إن متَّى ألف إنجيله بالعبرية وكل شخص فسره حسب قدرته[5]".

(١) انظر دراسة الأناجيل الأربعة والتوراة ص١٧.
(٢) راجع قصة الحضارة جـ١١ ص٢٠٨ وراجع تفسير العهد الجديد لوليم باركلي جـ١١ ص١٣.
(٣) انظر محاضرات في النصرانية ص٤٣-٤٥.
(٤) راجع تاريخ الإنجيل والكنيسة ص٦٩.
(٥) دراسة الأناجيل الأربعة والتوراة ص١٥.

المطلب الرابع: مترجم إنجيل متَّى:

سبق بيان أن علماء النصارى ومؤرخيهم لم يتفقوا على اللغة الأولى التي كتب بها إنجيل متَّى، كما لم يتفقوا على تعيين كاتبه قبل ذلك. وأن ذهاب جمهور علماء النصارى إلى أن متَّى الحواري هو كاتبه لا يوجد ما يؤيده من المستندات. ومع ذلك فإنهم متفقون على أنه لم يعرف باللغة اليونانية، وأن الذي ترجمه إلى اللغة اليونانية غير معروف. غير أن هناك قولا لبعضهم على أن يوحنَّا الحواري هو مترجمه إلى اللغة اليونانية، وقد استبعد جمهورهم هذا القول الذي لا يوجد ما يعضده من الوثائق. وهنا سؤال يطرح على القارئ المنصف. وهو: كيف يترجم يوحنَّا الحواري عمل غيره، وهو الذي صحب المسيح منذ بداية دعوته إلى أن رفعه الله؟ أوليس حريا بمثله أن يكتب مشاهداته من حياة المسيح ويترجم ما يكتبه إلى لغات أخرى من يونانية وغيرها؟ هذا إذا ثبت أنه يعرف اللغة اليونانية.

المطلب الخامس: فقدان الأصل والجهالة بالمترجم:

إن أصل هذا الإنجيل مفقود كما سبق، ولو كان موجودا لساعد ذلك في حل معضلات كثيرة في الثقة بهذا الإنجيل. وقد اقترنت بضياع الأصل طامة الجهالة بالمترجم علاوة على الجهالة بكاتب الأصل. وهذه ظلمات بعضها فوق بعض، ضربت على هذا الإنجيل لا يوجد منها انفكاك.

المطلب السادس: تاريخ كتابة هذا الإنجيل:

اختلفت آراء العلماء في تاريخ كتابة هذا الإنجيل وبلغت اثني عشر قولا إليك خلاصتها:

الأول: سنة ٣٧م. **الثاني**: سنة ٣٨م. **الثالث**: سنة ٤١م.
الرابع: سنة ٤٣م. **الخامس**: سنة ٤٨م. **السادس**: سنة ٦١م.
السابع: سنة ٦٢م. **الثامن**: سنة ٦٣م. **التاسع**: سنة ٦٤م[١].
العاشر: ما بين سنة ٨٠-٩٠م[٢]. **الحادي عشر**: ٦٥م. **الثاني عشر**: ما بين سنة ٨٠-١٠٠م[٣].

وهذا الكم الهائل من الاختلاف في تاريخ تأليف هذا الإنجيل يبين لنا أن قيمته التاريخية والدينية معدومة. وعلى القول بأن متَّى الحواري هو كاتبه؛ فكيف يتم التوفيق بين تاريخ وفاته المذكور بأنه سنة ٦٢م أو سنة ٧٠م وبين تلك التواريخ؟. أضف إلى تلك التواريخ ما قيل من أنه قضى بالحبشة نحو ثلاث وعشرين سنة فقتل بها، وأنه ألف هذا الإنجيل لليهود الذين يقيم بينهم. وإذا طرحنا ثلاثاً وعشرين سنة من سنة سبعين التي توفي فيها على أحد القولين يكون قد غادر فلسطين سنة ٤٧م. ولا بد أنه قد ألف الإنجيل قبل ذلك. فإذا كان كذلك فلا محل للتواريخ التي بعد ذلك والتي ذكرت على أن الإنجيل مؤلف في أحدها. أي إن أربعة

---

(١) انظر محاضرات في النصرانية ص٤٥.
(٢) راجع دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٨١.
(٣) انظر تاريخ الإنجيل والكنيسة ص ٦٩.

تواريخ من بين اثني عشر تاريخا هي التي تبقى في الاحتمال. وهذا قد يكون مما يرجح أن كاتب هذا الإنجيل غير متَّى العشار. أضف إلى هذا أننا لا نجد في هذا الإنجيل عنصرا مهما يعين على تحديد مصدر معلومات الكاتب على اعتباره من تلاميذ المسيح عليه السلام حيث لا نجد في كلامه "سمعت المسيح يقول كذا، ورأيته يفعل كذا، وقال لي المسيح كذا، وقلت للمسيح كذا".

وكيف يغفل من صحب المسيح هذه المزية التي تحسب له، والتي تجعل لكتابه مكانة الصدارة عند النصارى على مر العصور والدهور؟!.

المبحث الثاني: دراسة إنجيل مرقس

هذا الإنجيل هو الإنجيل الثاني في سلسلة الأناجيل حسب وضعها في العهد الجديد، وعدد إصحاحاته ستة عشر، وأوله قول كاتبه: "بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله، هاأنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك. صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة "[1].

ثم يبدأ سرد قصص يوحنَّا المعمدان، ثم ينتقل إلى الحديث عن المسيح ودعوته ملتقيا برواية متَّى حينا ومبتعدا عنها أحيانا أخرى. وفي المطالب الآتية تتم دراسة هذا الإنجيل:

المطلب الأول: مرقس صاحب الإنجيل:

جاء في كتاب تاريخ الأمة القبطية قول كاتبه: "اسم هذا الرسول يوحنَّا ويلقب بمرقس وهو أحد الإنجيليين الأربعة ولم يكن من الاثني عشر تلميذا وعلى يده دخلت الديانة المسيحية ديار مصر في القرن الأول[2] ".

ونجد اختلافا بين الكتاب في تاريخ الأمة القبطية كونه من تلاميذ المسيح أو اعتناقه النصرانية بعد رفعه. ففي الأول تقول لجنة التاريخ القبطي. وبالثاني يقول وليم باركلي في

(١) مرقس ١: ١-٣.

(٢) تاريخ الأمة القبطية ص٦١ وانظر محاضرات في النصرانية ص٤٦.

مقدمة تفسير إنجيل مرقس في المجلد الثاني من تفسير العهد الجديد ص١٣-١٤ كما سيأتي ذلك قريبا.

والنصارى يقولون إن مرقس كان ممن شاهد المسيح، وأن المسيح كان يتردد على بيته، وبعد رفع المسيح كان الرسل يجتمعون في بيته أيضا، أي في بيت أسرته. وبرنابا الذي كان من الرسل حسب تقاليد النصارى كان خال مرقس وكان مرقس ملازما له ولبولس إلى أنطاكيا في رحلتهما الدعوية[1]. وكان مجال دعوته مصر التي وجد فيها مرتعا خصبا لدعوته بين الأقباط. وكان يتردد في رحلاته الدعوية بين مصر وروما وشمال أفريقيا، ثم استقر في النهاية في مصر التي قتله الوثنيون فيها سنة ٦٢م[2].

يقول أحمد إدريس: "ويجمع علماء المسيحيين كذلك أن مرقس لم يصحب المسيح عليه السلام بل دخل في المسيحية فيما بعد على يد بطرس وما تعلمه من بطرس دونه في إنجيله باللغة الرومانية أي اللاتينية ونشره في مدينة روما. وقد ضاع إنجيل مرقس المدون باللاتينية. وما بين أيدينا الآن هو ترجمته باليونانية"[3].

ويحكى أنه كان ينكر ألوهية المسيح عليه السلام. حكى ذلك الشيخ محمد أبو زهرة حيث قال: "وقد جاء في مروج

(١) انظر تاريخ الإنجيل والكنيسة ص٦٩.
(٢) راجع محاضرات في النصرانية ص٤٦، و تاريخ الأمة القبطية ص٦٦-٦٧ وأرخ لقتله سنة ٦٨م.
(٣) تاريخ الإنجيل والكنيسة ص ٧.

الأخبار في تراجم الأبرار أن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح هو وأستاذه بطرس الحواري " ، وقد جاء في ذلك الكتاب عن مرقس : " صف إنجيله بطلب من أهالي رومية وكان ينكر ألوهية المسيح "[(١)] .

المطلب الثاني: كاتب هذا الإنجيل:

هذا الإنجيل مشهور بنسبته إلى مرقس وتسميته به غير أن ثمة خلافاً بين مؤرخين معتبرين من مؤرخي النصارى القدماء في هوية كاتبه وهما ابن البطريق وصاحب كتاب مروج الأخبار في تراجم الأخيار ، فابن البطريق يرى أن بطرس رئيس الحواريين هو الذي كتب إنجيل مرقس باسم مرقس راوياً عنه ، ويؤكد ذلك صاحب مروج الأخبار ، ويقول صاحب مرشد الطالبين : " قد زعم أن إنجيل مرقس كتب بتدبير بطرس سنة ٦١ لنفع الأمم الذين كان ينصرهم بخدمته "[(٢)] . وهو يرى أن هذا زعم لا يصدق .

ومن الصعب تصديق هذا القول الذي يزعم أن بطرس الذي هو رئيس الحواريين يكتب كتابا راويا عن مرقس ، مع أن صحبة مرقس للمسيح لم تكن على أساس من الإيمان ، وأن إيمانه بعد رفع المسيح على يد بطرس ، دليل على أنه ليس أهلا لأن يروي عنه شيخه وكبير الحواريين إنجيلا كاملا . ولو

(١) محاضرات في النصرانية ص ٤٦ .
(٢) راجع محاضرات في النصرانية ص ٤٦- , ٤٧

أن رجلا فاضلا قام برواية قصة أو قصتين عن امرئ مفضول، لما كان ذلك مما ينكر، فرواية الأكابر عن الأصاغر معروفة عند علماء الحديث لدى المسلمين، ولكن الذي ينكر هو رواية قصة حياة المسيح ودعوته كلها عمن لم يتلقها وهي التي لا تقبل ولا تعقل.

بل العكس هو المعقول والمقبول فإن مرقس الذي آمن بعد رفع المسيح على يد بطرس هو الذي تلقى عنه العلم، وكتب عنه ما كتب، وهذه شبيهة بتلك القصة التي سبقت في ترجمة متَّى حيث زعم بعضهم أن يوحنًّا هو الذي ترجم إنجيله إلى اليونانية. وقد كان يوحنًّا قادرا على كتابة إنجيل مماثل ابتداء فلماذا يشغل نفسه بترجمة كتاب غيره؟ وقد قيل أيضا إن متَّى قد اعتمد في كتابة إنجيله على إنجيل مرقس[1]، وهذا أمر غريب أيضا كغرابة رواية بطرس الحواري عن مرقس الذي لم يكن من التلاميذ!

وهاتان الروايتان المتعارضتان توحي بالشك فيمن كتب هذا الإنجيل أهو مرقس الذي نسب إليه وعرف به، أم هو بطرس رئيس الحواريين، أو هو كاتب آخر سواهما أحب أن يكتب باسم هذا التلميذ لترويج هذا الكتاب؟ كل ذلك محتمل والعلم عند الله تعالى.

ومما يرجح استفادة مرقس عن بطرس ما ذهب إليه وليم

(١) انظر دراسة الأناجيل الأربعة والتوراة ص ١٧.

باركلي حيث استشهد على مصادر معلومات مرقس في إنجيله بقول بابياس (papias) الكاتب النصراني الذي عاش في نهاية القرن الثاني الميلادي حيث قال: " وهذه شهادة بابياس نفسه: " مرقس الذي كان شارحاً لآراء بطرس. . . كتب بكل دقة -ولكن بغير ترتيب زمني- كل ما سمعه منه عما فعله يسوع، وتكلم به. لأنه لم يكن تلميذاً للرب ولم يستمع إليه شخصياً، ولكنه كان تلميذاً لبطرس كما قلت في آخر حياته، ولقد حاول بطرس أن يذكر تعاليم يسوع بحسب الحاجة الماسة في حياة الناس اليومية دون أن يضعها في ترتيب منطقي خاص" . هذه هي شهادة بابياس التي تعلن بدون لبس أو إبهام أن إنجيل مرقس ما هو إلا ذكريات بطرس ومواعظه "[١].

المطلب الثالث: لغة إنجيل مرقس الأصلية ومترجمه:

يروى أن هذا الإنجيل كتب باللغة اليونانية، ويبدو أن ذلك لم يكن موضع اتفاق بين النصارى[٢]. وقد سبق أن وقفنا على ما قاله أحمد إدريس من أن مرقس كتب إنجيله باللغة الرومانية أي اللاتينية، وأن المدون باللاتينية قد ضاع، ولا يوجد بين أيدي الناس إلا الترجمة اليونانية.

معنى هذا أن الأصل الذي كتب باللغة اللاتينية لا وجود

---

(١) تفسير العهد الجديد، ج٢، ص ١٣، ١٤.

(٢) انظر دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس، ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

له، وأن الترجمة اليونانية لذلك الأصل هي الموجودة في أيدي النصارى. فالسؤال هنا: من القائم بالترجمة؟ وأين الأصل؟

وأما مترجم إنجيل مرقس فهو مجهول، كما لم يعلم مترجم إنجيل متَّى قبله، والنسخة الأصلية مفقودة كما فقدت النسخة الأصلية لإنجيل متَّى، وقد سبق بيان ذلك في موضعه.

المطلب الرابع: تاريخ كتابة هذا الإنجيل:

وقد اختلف العلماء في تاريخ كتابة هذا الإنجيل كسابقه. يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "... فنجدهم أيضاً قد اختلفوا في زمان تأليفه، وقد قال في ذلك هورن: "ألف الإنجيل الثاني سنة ٥٦ وما بعدها إلى سنة ٦٥ والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ أو سنة ٦٣"، ويقول صاحب كتاب مرشد الطالبين: "إنه كتب سنة ٦١" "[١].

يقول ول ديورانت: "ويتفق الناقدون الثقات بوجه عام على أسبقية إنجيل مرقس في الزمن على سائر الأناجيل وفي تحديد تاريخه بين عامي ٦٥، و ٧٠ ميلادية... ويبدو أن إنجيل مرقس كان منتشراً أثناء حياة بعض الرسل، أو حياة الرعيل الأول من أتباعهم ومريديهم"[٢].

ويتلخص مما قال العلماء في تاريخ كتابة هذا الإنجيل أن في ذلك ثمانية أقوال وهي:

(١) محاضرات في النصرانية، ص ٤٧. وانظر: تاريخ الإنجيل والكنيسة، ص ٦٩.
(٢) قصة الحضارة، ج ١١، ص ٢٠٨. وانظر: تاريخ الإنجيل والكنسية، ص ٦٩.

الأول: سنة ٤٥م[١]. **الثاني**: سنة ٥٥م. **الثالث**: سنة ٥٦م. **الرابع**: سنة ٦٠م. **الخامس**: سنة ٦١م. **السادس**: سنة ٦٣م. **السابع**: سنة ٦٥م. **الثامن**: سنة ٧٠م[٢].

وهكذا اختلفت آراء العلماء في تحديد تاريخ كتابته، وبه يعلم أن هذا الإنجيل الثاني كسابقه في الجهل بكاتبه ولغته الأصلية، والتي ترجم إليها، والجهل بمن قام بالترجمة. فمن حق الإنسان أن يضعهما في زاوية النسيان بفقدهما مقومات البقاء حتى يكونا مصدرين لإثبات دين، وما لا يتوفر له مقومات البقاء لا يكون صالحاً لإثبات غيره لأنه هو بحاجة إلى ما يشهد له ويثبته، فليتأمل.

ولعل من المفيد إيراد ما ذكره عديد من العلماء في نصوص هذا الإنجيل ليقف القارئ من خلالها على ما قاله دارسو تاريخ هذا الإنجيل ونصوصه، ويقرر على ضوء ذلك موقفه منه. فمن تلك الأقوال ما جاء في الموسوعة البريطانية حيث قال كاتبها: "بالرغم من أن مؤلف إنجيل مرقس غير معروف على الأرجح، فإن قيمة هذا الكتاب وسلطته مستمدة تقليدياً من علاقة مؤلفه المفترضة بالحواري بطرس"[٣]. وقال أيضاً: "في أفضل المخطوطات الأعداد ٩/ ٢٠ تعتبر إضافات متأخرة"[٤]. وقال في موضع

(١) انظر: دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس تاريخياً وموضوعياً. تأليف محمد عبد الحليم أبو السعد، ص ٢٦٨.

(٢) راجع في هذه التواريخ محاضرات في النصرانية، ص٤٧، ودراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ص٢٦٦.

(٣) انظر: دراسة الأناجيل الأربعة والتوراة، ص ١٨، نقلاً عن الموسوعة البريطانية، المجلد ٢، ص ٩٥١.

(٤) الموسوعة البريطانية، المجلد الثاني، ص ٩٥٣. نقلاً عن دراسة الأناجيل الأربعة.

آخر : " إن الأعداد الأخيرة ١٦ : ٩-٢٠ غير موجودة في بعض المخطوطات، ويوجد عوضاً عنها مقاطع أقصر في مخطوطات أخرى، وهناك خلاف حول تأليف مرقس لهذا الجزء "[١].

ويقول ول ديورانت : " وملاك القول أن ثمة تناقضاً كثيراً بين بعض الأناجيل والبعض الآخر، وأن فيها نقاطاً تاريخية مشكوكا في صحتها، وكثيراً من القصص الباعثة على الريبة والشبهة. بما يروى عن آلهة الوثنيين. وكثير من الحوادث التي يبدو أنها وضعت عن قصد لإثبات وقوع كثير من النبوءات الواردة في العهد القديم. وفقرات كثيرة ربما كان المقصود منها تقدير أساس تاريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة أو طقس متأخر من طقوسها، لقد كان المبشرون بالإنجيل يرون كما يرى سيشرون وسالست وتاستس أن التاريخ وسيلة لنشر المبادئ الخلقية السامية "[٢].

أورد ول ديورانت هذا الكلام بعد أن تكلم عن الأناجيل الثلاثة : متى، ومرقس، ولوقا. ثم قال : " ويبدو أن ما تنقله الأناجيل من أحاديث وخطب قد تعرضت لما تتعرض له ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب، ولما يرتكبه النساخ من أخطاء أو (تصحيح) فإذا سلمنا بهذا كله بقي الشيء الكثير. إن ما في الأناجيل من تناقض لا يتعدى التفاصيل الجزئية إلى الحقائق العامة "[٣].

---

(١) الموسوعة البريطانية، المجلد السادس، ص ٦٣٣ .
(٢) قصة الحضارة، ج١١، ص ٢١٠
(٣) نفس المرجع والصفحة .

وهذا يؤكد ما سبق قوله من أن هذا الإنجيل والذي قبله، وما كان على شاكلتهما لا فرق بينهما في الافتقار إلى ما به الثبوت من الأدلة مما يفقدها قيمتها الدينية ويفقد ما استنبط منها أو بني على نصوصها من العقائد أي اعتبار، ويجعلها في مهب عاصفة هوجاء لا تبقي ولا تذر. ولكن أين الحريصون على بناء أمور دينهم على حقائق ثابتة لا تقوى على زحزحتها أو زعزعتها عواصف الريب والشكوك والظنون على مر الدهور؟

المبحث الثالث: دراسة إنجيل لوقا

إن إنجيل لوقا هو الإنجيل الثالث في ترتيب الأناجيل الأربعة في العهد الجديد. وعدد إصحاحاته أربعة وعشرون. ويفتتح كاتبه روايته بقوله: "إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي عُلِّمْتُ به"[(١)]. وتتم دراسة هذا الإنجيل في المطالب الآتية:

المطلب الأول: كاتب هذا الإنجيل لم يصحب المسيح عليه السلام:

لا خلاف بين علماء النصارى في أن لوقا لم يكن ممن صحبوا المسيح في حياته بين الناس، ولكنه التحق بالركب النصراني بصحبة بولس. وكان لوقا مؤرخاً طبيباً من أهل أنطاكيا وليس من اليهود الذين كان متَّى ومرقس منهم. وإليه ينسب هذا الإنجيل وأعمال الرسل من العهد الجديد[(٢)].

ومع عدم اختلافهم في عدم كونه من تلاميذ المسيح، فإن اختلافهم فيما عدا ذلك متشعب سواء في مكان ميلاده أو في مهنته أو انتمائه القومي. فمن قائل أنه أنطاكي مولود بأنطاكيا، وقائل: إنه روماني من مواليد إيطاليا، ومن قائل

(١) لوقا ١: ١-٤.

(٢) انظر: تاريخ الإنجيل والكنيسة ص ٧٠-٧١.

بأنه طبيب قد مارس مهنة الطب، وقائل إنه كان مصوراً يمتهن مهنة التصوير[1].

ونحن لا نهتم بكونه أنطاكياً أو إيطالياً كما لا نهتم بكونه طبيباً أو مصوراً، ولكن الذي يهمنا هنا أن هذا الكاتب اختلفت فيه الأقوال حتى ذهب بعضهم إلى القول أن من قال أنه إنطاكي اشتبه عليه بولوقيوس الأنطاكي، وذلك وهم منه. ولا يعلم على سبيل اليقين من هو؟

المطلب الثاني: هوية كاتب هذا الإنجيل:

أما هوية كاتب هذا الإنجيل فلم يكن الخلاف فيها بدعاً من الخلاف في هوية سابقيه متَّى ومرقس، فقد اختلفت الآراء في شخصيته كذلك. يقول محمد أبو زهرة: "إن الباحثين اختلفوا في شخصية كاتبه وفي صناعته، وفي القوم الذين كتب لهم وفي تاريخ تأليفه، ولم يتفقوا إلا على أنه ليس من تلاميذ المسيح ولا تلاميذ تلاميذه، وإلا على أنه كتب باليونانية"[2].

يقول محمد السعدي: "ويبدو أن هناك كثيراً من المفكرين الغربيين الذين لا يعترفون بنسبة الأناجيل إلى من نسبت إليهم ومنهم (GERALD. L BERRY) صاحب كتاب ديانات العالم RELIGIONS OF THE WORLD الذي يقول

(١) راجع محاضرات في النصرانية ص٤٨.
(٢) محاضرات في النصرانية ص ٤٩.

في كتابه : " بالإضافة إلى رسائل بولس يتكون العهد الجديد من الأناجيل الأربعة التي تنسب إلى أربعة من الرسل، وإن كانت هذه الأناجيل في الحقيقة ليست من إنتاج هؤلاء الرسل "(١) .

المطلب الثالث: لغة إنجيل لوقا الأصلية:

إن إنجيل لوقا تمت كتابة نسخته الأولى باللغة اليونانية(٢)، وأنه كتب هذا الإنجيل لصديقه الذي ذكره في ديباجة إنجيله، وهو ثاوفيلس. أكثر العلماء على أنه يوناني، غير أن ثمة فئة منهم ترى أنه مصري.

إن كتابة هذا الإنجيل كانت باللغة اليونانية، ولا خلاف في ذلك إلا ما ذكره ابن خلدون في مقدمته أنه كتبه باللاتينية(٣) .

المطلب الرابع: تاريخ كتابة إنجيل لوقا:

اختلف العلماء في تاريخ كتابة هذا الإنجيل كما اختلفوا في سابقيه اختلافاً كثيراً، وهذا بيان ما قيل في تاريخ كتابته :

الأول : سنة ٥٣م. **الثاني** : سنة ٦٣م. **الثالث** : سنة ٦٤م(٤) . **الرابع** : سنة ٥٨م. **الخامس** : سنة ٦٠م(٥) . **السادس** : سنة ٨٠م(٦) .

---

(١) دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، ص ٢٢، نقلاً عن مقارنة الأديان لأحمد شلبي، ج ٢، المسيحية ص ٨٥.

(٢) راجع محاضرات في النصرانية، ص ٤٩، والأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ٨٨.

(٣) انظر مقدمة ابن خلدون، ج٢، ص ٦٥١، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط ٣، دار نهضة مصر.

(٤) راجع إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي، ج١، ص ١٥٧، تحقيق محمد أحمد محمد عبد القادر، ط٢، دار الحرمين للطباعة، القاهرة ١٤١٣هـ.

(٥) راجع محاضرات في النصرانية ص ٤٩.

(٦) راجع دراسة في الأناجيل الأربعة ص ٢٤.

إن كتابا بلغ الاختلاف في تاريخ كتابته وهوية كاتبه هذا المبلغ ليس جديراً بأن يلتفت إليه فضلاً عن أن تبنى عليه أساسيات الدين وثوابته. فعلى الحريصين من النصارى أن يبنوا أسس دينهم على قواعد متينة ثابتة لا على هذه الأوهام التي لا تجد لها أي سند شرعي يسنده العقل السليم، والبصيرة المتحرية الثاقبة.

المبحث الرابع: دراسة إنجيل يوحنا

هذا الإنجيل هو الإنجيل الرابع في ترتيب أناجيل النصارى الأربعة، وعدد إصحاحاته واحد وعشرون إصحاحاً، يبدأ مؤلفه روايته بقوله: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان"[1]. هذا الإنجيل الأخير ستتم دراسته في المطالب الآتية:

المطلب الأول: مقدمة هذا الإنجيل ومغزاها:

إذا تأمل القارئ في مقدمات الأناجيل الثلاثة الأولى وقارن بينها وبين مقدمة هذا الإنجيل يجد غاية التباين بينها وبين مقدمة يوحنَّا. فمقدمات الأناجيل الثلاثة ليس فيها بعد عن الواقع المادي الملموس سوى ما كان من مقدمة إنجيل مرقس التي يتجلى الجانب الاعتقادي العميق في سياقها من غير أن يكون فيها شيء من التعقيد لتعلقها بأمر معلوم من الكتب السابقة لدى المجتمع. أما مقدمة إنجيل يوحنَّا فقد شذت عما ألفه الناس في حياتهم الدينية وعباراتهم اللغوية، فهي توحي بأن هذا الإنجيل قصد من كتابته تأسيس عقيدة وإيجاد فكرة لا وجود لها ولا يمكن ربطها بالواقع الديني الذي تمتد جذوره عبر القرون والأجيال ولو بشيء من

---

(١) يوحنَّا ١: ١-٣.

التكلف. وهذا ما ينفرد به هذا الإنجيل من الأناجيل الأربعة، فمقدمته فيها براعة استهلال، وموضوعه الدعوة إلى هدم دين الأنبياء، دين التوحيد الذي دعت إليه الرسل في العهد القديم، والذي لم يأت المسيح لنقضه ونسخه وإنما جاء لينفض عنه ما علاه من غبار التحريف والتبديل على أيدي اليهود. أراد كاتبه أن يقيم على أنقاض ملة التوحيد الديانة الوثنية باسم المسيحية. وهو الإنجيل الوحيد الذي صرح بألوهية المسيح، وألف من أجل ذلك بإجماع علمائهم.

المطلب الثاني: كاتب هذا الإنجيل:

يذهب جمهور النصارى إلى اعتقاد أن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنَّا الحواري المعروف بيوحنَّا بن زبدي الصياد، والذي تذكر روايتهم أن المسيح كان يحبه، وأنه حينما كان على الصليب على زعمهم استودعه والدته. ويذكرون أنه توفي بعد أن بلغ من الكبر عتياً.

ومع وجود هذا الاعتقاد لدى عامة النصارى في شخصية كاتب هذا الإنجيل فإن من بين النصارى من رأى أن كاتبه ليس هو يوحنَّا الحواري، ولكنه يوحنَّا آخر لا يمت إليه بأية صلة. وهذا الرأي لم يكن وليد العصور المتأخرة، ولكنه كان في القرن الثاني الميلادي.

يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: " ومع أن النِّحل المسيحية في العصر الحاضر مجمعة على اعتماد هذا الإنجيل

واعتباره مقدساً موحى به، واعتماد صحة نسبته إلى يوحنَّا بن زبدي أحد الحواريين الاثني عشر، فإن القدامى من الباحثين في المسيحية كانوا ينكرون هذا الإنجيل وينكرون كذلك جميع ما اسند إلى يوحنَّا من بقية أسفار العهد الجديد التي سيأتي ذكرها، ويرون أن ذلك كله من تأليف أشخاص آخرين بل لقد كانت بعض الفرق المسيحية القديمة نفسها في أواخر القرن الثاني الميلادي تذهب هذا المذهب في جميع ما ينسب إلى يوحنَّا من أسفار. ويرتاب كذلك كثير من الباحثين المحدثين في صحة نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنَّا بل إن عدداً كبيراً من ثقاتهم ليقطع بعدم صحة نسبته إليه "[1].

يقول الشيخ محمد أبو زهرة بعد أن ذكر الرأي العام النصراني في شخصية الكاتب: "ولكن بجوار هؤلاء من محققي المسيحيين من أنكر أن يكون كاتب هذا الإنجيل هو يوحنَّا الحواري، بل كتبه يوحنَّا آخر لا يمت إلى الأول بصلة روحية، وإن ذلك الإنكار لم يكن من ثمرات هذه الأجيال، بل ابتدأ في القرن الثاني الميلادي، فإن العلماء بالمسيحية في القرن الثاني الميلادي أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنَّا الحواري، وكان بين ظهرانيهم أرينيوس تلميذ بوليكارب تلميذ يوحنَّا الحواري، ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة عندما شاع إنكارها "[2]. ويقول ول

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص ٨٨-٨٩.
(٢) محاضرات في النصرانية ص ٥٠.

ديورانت: "وإنما يصطبغ به الكتاب من نزعة قريبة من نزعة القائلين بأن الخلاص لا يكون بالإيمان بل بالمعرفة وما فيه من تأكيد للآراء الميتافيزيقية قد جعلا الكثيرين من الباحثين في الدين المسيحي يشكون في صدق القول بأن واضعه هو الرسول يوحنَّا"(١).

وبمثل هذا القول يقول د. أحمد شلبي في مقارنة الأديان ثم ينقل كل منهما عن دائرة المعارف البريطانية قولها في مؤلف هذا الإنجيل: "أما إنجيل يوحنَّا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما البعض، وهما القديسان يوحنَّا ومتَّى، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنَّا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنَّا يقينا، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه. وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنَّا الصياد الجليل فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى"(٢).

---

(١) قصة الحضارة، جـ١١، ص ٢٠٩.

(٢) مقارنة الأديان، ج٢، المسيحية ص ١٨٣، ط٤ سنة ١٩٧٣م، وانظر الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٤٢-٣٤٣، ومحاضرات في النصرانية ص ٥٠.

ونقل أبو زهرة عن استادلين[1] في العصور المتأخرة قوله: "إن كافة إنجيل يوحنَّا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية، ولقد كانت فرقة ألوجين[2] في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنَّا"[3]. ويقول أحمد إدريس: "وينسب بعض علماء المسيحية هذا الإنجيل إلى يوحنَّا الحواري، وهي مغالطة تاريخية لأن يوحنَّا الحواري وأخاه جيمس قتلهما اليهود عام ٦٠، ٧٠م. أما يوحنَّا مؤلف الإنجيل فهو من مدينة أفيوس[4] في آسيا الصغرى وقد توفي في آخر القرن الأول الميلادي. ويوحنَّا هذا مؤلف رؤيا يوحنَّا أيضاً. ويختلف علماء الإنجيل في تاريخ تأليف يوحنَّا وهو على الأرجح عندهم بين ٦٨-١٠٠ ميلادية، بينما يرجع تأليف رؤيا يوحنَّا إلى ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ ميلادية"[5].

ويذكر وليم باركلي أن يوحنَّا الحواري هو كاتب الإنجيل وأنه كتبه سنة ١٠٠ للميلاد[6]. وقد سبق ما ذكره أحمد إدريس من أن يوحنَّا قتل مع أخيه سنة ٦٠ أو ٧٠ ميلادية، وإذا تمت كتابة هذا الإنجيل عام ١٠٠ كما ذكر وليم باركلي

---

(١) في تاريخ الإنجيل والكنيسة: "استودسن" و "الأيلوجيين".
(٢) في تاريخ الإنجيل والكنيسة: "استودسن" و "الأيلوجيين".
(٣) محاضرات في النصرانية ص ٥٠ وانظر تاريخ الإنجيل والكنيسة ص ٨٣-٨٤ وراجع الفارق ص ٣٤٢.
(٤) افسس.
(٥) تاريخ الإنجيل والكنيسة ص ٧٨، وانظر الفارق بين المخلوق والخالق، ص ٣٤٢.
(٦) تفسير العهد الجديد شرح بشارة يوحنَّا ج١، ص ١٦.

فـإنه لا شك ليس هو يـوحنًّا الحـواري لأن الفـرق بين تـاريخ وفاته المتقدم، وكتابة الإنجيل المتأخر ثلاثون عاماً. وكيف يصح أن يكتب يوحنًّا هذا الإنجيل وقد بلغ أرذل العمر حتى نسي الكثير في آخر حياته ولم يكن قادراً على الوعظ كما تقول لجنة التاريخ القبطي: "وكان في أواخر أيامه قد ضعف حتى عجز عن الوعظ فلم يجد ما يقوله لسامعيه إلا: "ليحب بعضكم بعضاً" "[(١)].

المطلب الثالث: لغة إنجيل يوحنَّا الأصلية:

أما اللغة التي ألف بها هذا الإنجيل فيقول فيها صابر طعيمة: "وقد ألف إنجيله باللغة اليونانية"[(٢)]. وجاء في تاريخ الأقباط والمسيحية في مصر قول لجنة التأليف: "وكتب إنجيله ورسائله الثلاث وسفر الرؤيا باللغة اليونانية"[(٣)]. ويقول د/ علي عبد الواحد وافي: "ألفه باللغة اليونانية وكان تأليفه إياه حوالي سنة ٩٠ بعد الميلاد على أرجح الأقوال"[(٤)].

المطلب الرابع: تاريخ كتابة إنجيل يوحنَّا:

إن الاختلاف في تاريخ كتابة هذا الإنجيل كالاختلاف في تواريخ الأناجيل الثلاثة السابقة، غير أن الذي لا خلاف فيه

(١) تاريخ الأقباط والمسيحية ص ٥٤ وانظر الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ص٣١٦.
(٢) الأسفار المقدسة قبل الإسلام ص ٢٦٢، ط١، سنة ١٤٠٦هـ.
(٣) تاريخ الأقباط ص ٥٤.
(٤) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ٨٨.

أن هذا الإنجيل آخر الأربعة كتابة ولذلك أصبح ترتيبه الإنجيل الرابع، ومع أن المدققين من علماء التاريخ لم يأخذوا بالرأي التقليدي السائد بين النصارى بأن كاتبه هو يوحنَّا الحواري، بل رأوا منذ القرون الأولى للنصرانية أن نسبة هذا الإنجيل إليه لا تصح لأن قرائن كثيرة احتفت به منذ ظهوره سواء في زمن كتابته أو في محتوياته المبتدعة، أو المصادمة لما سبقه من الأناجيل، فإن تاريخ كتابته كذلك ليس موضع اتفاق. وإليك بيان ذلك فيما يأتي:

الأول: سنة ٦٨م، **الثاني**: سنة ٩٩م، **الثالث**: سنة ٩٦م، **الرابع**: سنة ٩٧م، **الخامس**: سنة ٩٨م[١]، **السادس**: سنة ٦٩م، **السابع**: سنة ٧٠م، **الثامن**: سنة ٨٩م، **التاسع**: سنة ١٠٠م[٢].

إن هذه التواريخ العديدة التي يحتمل أن إنجيل يوحنَّا المجهول كتب في واحد منها لا في جميعها يلقي هذا الإنجيل وسابقاته الثلاثة في ظلام حالك، ولا يُبْنى على مثل هذه الكتب المجهولة أمر الدين الذي يرجى به الصلاح في الدنيا والفوز والظفر في الآخرة إلا غر هالك ألقى بنفسه في أعظم المعاطب والمهالك.

---

(١) تاريخ الإنجيل والكنيسة ص ٧١ ودراسة في الأناجيل الأربعة ص ٢٤.

(٢) راجع محاضرات في النصرانية ص ٥٢-٥٣. وإظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي، ج١، ص ١٥٧.

المبحث الخامس:
الأناجيل النصرانية في ميزان البحث العلمي

المطلب الأول: الإنجيل أمام متطلبات العقل ومسلماته:

إن الأناجيل الأربعة التي يتخذها النصارى مصادر لدينهم، لم تتوفر لها موجبات القدسية والقبول بما فيها من القضايا الإيمانية التي تستوجب أن تبنى على اليقينيات من النصوص. وإن ذلك في غاية البعد عن الأناجيل الأربعة. والنصارى أنفسهم لا يدعون أن المسيح عليه السلام ترك في تلاميذه كتاباً منزلاً عليه(١)، وأن كل ما وصل إليهم من أمور دعوته وسيرته وما اقترن بحياته من أحداث هو الذي روته الأناجيل الأربعة. إما من كُتّاب شاهدوا تلك الأحداث وعاصروا صاحبها وتتلمذوا عليه مثل متَّى ويوحنَّا، وإما من كتاب تلقوا ذلك من أفواه تلاميذه الذين سمعوا أو شاهدوا، ونقلوا ذلك إلى من قام بتدوين ما نقل إليه مثل مرقس ولوقا.

وقد رأينا فيما استعرضنا من أقوال علمائهم في هذه الأناجيل وكاتبيها أن ذلك القول السائد والرأي التقليدي المتوارث بين النصارى لم يكن مبنيا على أساس من معايير البحث العلمي، وأن تلك الاعتقادات المتوارثة، مبنية على التقليد الذي لا يثبت أمام المعايير العلمية المنصفة. فالإنسان

---

(١) انظر محاضرات في النصرانية، ص ٥٦، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس، ص ٢٥٠.

الذي كرمه الله بالعقل، وميزه عن غيره من الكائنات الحية بالفكر والتأمل والتدبر يجب عليه أن يطرح التقليد الأعمى جانبا، ويستخدم عقله الذي منّ الله به عليه حتى يميز بين ما هو مبني على التقليد من غير أن تكون له بينات وشواهد، وبين ما هو مبني على مقتضيات العقل ومسلماته التي بها من الشواهد والبينات ما ينير السبيل لمن يريد أن يؤسس بنيان دينه وعقيدته على ما ترتاح له النفوس، وتطمئن إليه القلوب، وتؤيده ثوابت الأسس الدينية التي دعت إليه الرسل في جميع العصور. أما أولئك الذين لا يهتمون إلا بتقليد من سبقوهم بغير دليل من شرع الله فقد أسسوا بنيان عقيدتهم في مهب الريح. ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩] إن هذه الأناجيل لا تثبتها القواعد العلمية، ولا تثبت أو تصمد أمام البحث العلمي، والكتاب الذي يفقد دليل ثبوته، لا يقوى على إثبات عقيدة لا دليل من كتب الأنبياء كافة على صحتها.

إن الشرائع الدينية والتشريعات الإلهية لا بد أن يكون لها أصل تنطلق منه وتستند إليه. وذلك الأصل هو الكتاب المنقول عن المبلغ المتلقي نقلا مستوفيا لشروط الصحة. وتلك الشروط تتجلى فيما يأتي:

المطلب الثاني: شروط صحة نسبة الكتب إلى مصادرها:

الشرط الأول: صحة النسبة إلى المصدر المبلغ وهو الرسول الذي أرسله الله تعالى بالدين إلى الناس.

الشرط الثاني: صحة النقل بأن يكون الناقل معروفا بالعدالة والضبط عمن يماثله من الرواة العدول الضابطين.

الشرط الثالث: اتصال السند بأن يكون كل راو متلقيا عن راو قبله حتى يبلغ به المصدر بلا انقطاع.

الشرط الرابع: صحة الكتابة بأن تكون الكتابة مطابقة لما تم نقله لفظا ومعنى في حالة النقل باللغة الموحى بها.

الشرط الخامس: صحة الترجمة في حالة ترجمة الكتاب من الأصل الموحى به إلى لغة أخرى وذلك يتطلب ما يأتي:

أولا: شروط قبول الترجمة المجهولة:

١- وجود الأصل الموحى به حتى يتم عرض الترجمة عليه.

٢- صحة الترجمة ويعرف ذلك بعد عرضها ومقابلتها بالأصل.

ثانيا: شروط في المترجم:

١- عدالة المترجم.

٢- معرفته التامة باللغتين الأصلية والتي ترجم إليها.

٣- أن يكون ملما بمقاصد الدين ومصطلحاته حتى يترجم حسب المقاصد الدينية التي قد يكون ظاهر اللغة غير صريح فيها مثل الخيط الأبيض والأسود.

المطلب الثالث: الأناجيل الأربعة فقدت شروط القبول:

لقد استعرضنا ما قاله العلماء في الأناجيل الأربعة فيما مضى، وأدركنا هناك أنها لا جذور لها تمتد بها إلى المصدر المعصوم، حيث لم يدع أحد أن عيسى هو كاتبها، أو هو ممليها، أو أنها كتبت في عهده. ثم أنهم لم يختلفوا في أن من نسبت إليهم على أنهم كاتبوها اثنان من تلاميذ المسيح وهما متَّى ويوحنَّا، وآخران ليسا كذلك وهما: مرقس ولوقا. والخلاف في صحة نسبة هذه الأناجيل إلى هؤلاء خلاف له ما يبرره ويقويه. وبناءا عليه فإن كاتبيها مجهولون، ومجهول العين لا شك في الجهالة بحاله ومجهول الحال لا تقبل روايته. ثم إن هذه الأناجيل ما عرفت إلا بعد أن ترجمت، ولم توجد النسخ الأصلية حتى تعرض عليها الترجمات المختلفة باللغات المختلفة. والمترجمون لها أيضا مجهولون. وتواريخ كتابتها أيضا غير معلومة. أي إنها ظلمات بعضها فوق بعض وهل بالظلمات

ينار السبيل؟ وبالإضافة إلى عدم توفر هذه الشروط لهذه الأناجيل، فإن مناقضة ما فيها لبدهيات العقول، وثوابت ما علم من دين الأنبياء، وتناقضها فيما بينها في بعض النصوص، وتناقض نصوص الواحد منها فيما بينها، لما يدعو إلى عدم قبولها واعتبارها في مصاف الكتب التي تستحق التقديس عند ذوي العقول النيرة والفهوم الثاقبة.

المطلب الرابع: مجمل ما قيل في هذه الأناجيل:

سبق أن استعرضنا ما قيل في الأناجيل الأربعة كل على حدة. وهنا نستعرض بعض ما قيل في هذه الأناجيل الأربعة مجتمعة.

يقول ول ديورانت: "أما الأناجيل فليس أمرها بهذه السهولة، ذلك أن الأناجيل الأربعة التي وصلت إلينا هي البقية الباقية من عدد أكبر منها بكثير، كانت في وقت ما منتشرة بين المسيحيين في القرنين الأول والثاني"[١].

لو ذهبنا إلى القول بأن هذه الأناجيل الأربعة تشتمل على الحقائق، فإن وجود أعداد كبيرة من الأناجيل بجانبها في تلك القرون يجعل الباحث يقول أن ما في هذه الأربعة بعض الحقائق وليس كل الحقائق، وقد يكون نسبة ما فيها من الحقائق كنسبتها إلى تلك الأناجيل الكثيرة. وقد يكون من بينها إنجيل كل ما فيه حق. وهذا الذي يغلب على الظن. فإن

---

(١) قصة الحضارة جـ١١ ص٢٠٦.

كاتبي الأناجيل الأربعة والمتعصبين لما فيها، لا يقبلون أن تبقى بجانبها أناجيل تناقضها. وهذا أهم أسباب اختفائها فإن المتعصبين للقول بألوهية المسيح وإقامة ملة جديدة بعد المسيح باسم المسيحية قد قاموا باضطهاد مخالفيهم وطردهم وحرمانهم واغتيالهم فكيف بكتب لا تقاوم ولا تساوم؟

ومع ما في هذه الأناجيل الأربعة من العلل المذكورة وغيرها، فإنها لم تعرف بين النصارى إلا بعد زمن طويل من تورايخ كتابتها غير المحددة. وفي هذا يقول ول ديورانت أيضا: "وترجع أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث. أما النسخ الأصلية فيبدوا أنها كتبت بين عامي ٦٠-١٢٠م، ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل، ولعلها تعرضت أيضا لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ وأغراضها. والكُتّاب الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول الميلادي لا ينقلون قط شيئا عن العهد الجديد. بل كل ما ينقلونه مأخوذ من العهد القديم. ولسنا نجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠م إلا في كتابات ببياس papias الذي كتب في عام ١٣٥ إذ يقول: "إن "يوحنَّا الأكبر" -وهي شخصية لم يستطع الاستدلال على صاحبها- قال: إن مرقس ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس"[1].

(١) قصة الحضارة جـ١١ ص ٢٠٧

لو أن إنسانا وجد كتابا لا يعرف كاتبه، ولا متى كتب، ولا بأي لغة كتب، يتحدث عن سلسلة نسب أجداده الذين عاشوا قبل ما يزيد عن قرن مما لا علم له به؛ فهل يصدق بما جاء في هذا الكتاب المجهول الذي لا يقتضي عملا؟

فكيف يقبل الإنسان في أمر دينه بكتاب أحاطت به الجهالة من كل جانب، وهو يقتضي إيمانا وعملا ويدين الله تعالى بمقتضاه؟

ولئن كان علماء النصارى المتعصبون لهذه الأناجيل يدافعون عنها بأنها ليست موضع شك، فإنهم يعجزون عن إثبات ما يبني الثقة بها وينفي التضارب والتحريف عنها، وقد يأتون -وهم يدافعون عنها- بما يؤكد عدم الوثوق بها. ولعل من هذا القبيل ما ذكره الأب بولس إلياس اليسوعي في الاعتداد بها وقدم نسخها حيث قال: "لم يقع تحريف في القرنين الثاني والثالث. وكذلك لم يقع تحريف في القرن الرابع وما إليه لأن لدينا مخطوطات قديمة عن الأناجيل الأربعة ترقى إلى القرن الرابع وما يليه حتى القرن الحادي عشر. وقد أثبت البحث العلمي تاريخها وانطباقها على النص الذي نتداوله اليوم، وهي محفوظة في مختلف مكتبات أوروبا وإليك أهم النسخ عنها:

المطلب الخامس: نسخ الأناجيل وتواريخ العثور عليها:

١- **النسخة الفاتيكانية**: يونانية ترقى إلى القرن الرابع. قيل

عنها أنها إحدى النسخ التي أمر قسطنطين الأول بنسخها على نفقته سنة ٣٢٨ تحت إشراف المؤرخ أوسابيوس. وهي ما تزال محفوظة في المكتبة الفاتيكانية.

٢- **النسخة السيناوية**: اكتشفها العالم تيشندورف سنة ١٨٥٩ في دير طورسينا وهي الفاتيكانية لغة وعصرا. تجدها في المتحف البرطاني بلندن (Britch museum).

٣- **النسخة الإسكندرية**: يونانية ترقى إلى القرن الخامس. أهداها كبرللس لوكاريوس إلى كارلوس الأول ملك بريطانيا سنة ١٦٢٨. وهي الآن في مكتبة لندن.

٤- **النسخة الملوكية أو الافرامية**: هي من نوع بالمبست، وهي كتابة عن رق كتب عليه أولا نص الإنجيل، ثم حف وكتب فوقه قصائد لمار افرام السرياني الذي عاش في القرن الخامس. وقد استطاع العلماء بما لديهم من الوسائل الحديثة استجلاء الرق وقراءة نص الإنجيل فيه. وهذه النسخة ترقى إلى القرن الخامس وهي محفوظة في مكتبة باريس.

٥- **النسخة البيزية**: وقد اكتشفها بيزا Beza في أحد ديورة ليون في فرنسا أثناء الحرب الدينية عندهم وأهداها سنة ١٥٨١ إلى مكتبة كمبريدج في بريطانيا. وهي باللغتين اليونانية واللاتينية وهي ترقى إلى القرن السادس. وإذا عرفنا أن البدع التي ظهرت في القرن الخامس

كالنسطورية وغيرها كانت تستعمل نصوص هذه المخطوطات التي نستعملها اليوم، ولم يقم منها من عاب على الكنيسة الكاثولكية التحريف تيقن اليقين كله أن أناجيلنا لا تشوبها شائبة دس أو حذف أو تصحيف. ولدينا الآن ما يربو على ثمانية آلاف مخطوطة كلها نصوص الأناجيل الأربعة في حالتها الحاضرة، وهي مكتوبة في مختلف اللغات. ومضمون جميع هذه النسخ هو دونما اختلاف جوهري مما يدل على أن الكنيسة احترمت تعاليم المسيح وصانتها منزهة عن التحريف. وما تزال بعد ألفي سنة تسلمها كما تسلمتها من الإنجيليين الأربعة.

٦- **النسخة البودميرانية أو نسخة بودمير (Bodmer)**: هي أقدم النسخ عهدا لأنها ترقى إلى القرن الثاني. ولكنها أقلها حجما ومحتوى، إذ أنها لا تنطوي إلا على قسم من إنجيل يوحنًّا فقط. أي من الفصل الأول إلى الفصل الرابع عشر. نسخها دونما ريب أحد مبشري أواخر القرن الثاني زمن اضطهاد سبتيموس ساويرس ومكسميانوس بحروف كبيرة خصيصة بذلك العهد على بردي صغير، لكي تدرج وتحمل في الجيب كمفكرة تذكره بأهم ما جاء من تعاليم السيد المسيح في إنجيل يوحنًّا. وهي لا تختلف عن النسخة الفاتيكانية المتداولة في أيدينا التي ترقى إلى القرن الرابع.

سوى أن كاتبها لم يذكر حادث المرأة الزانية التي أبى السيد المسيح أن ترجم (يو ٨) ولا حادث تمويج الملاك مياه بركة بيت حسدا لأجل شفاء المرضى (يو ٥). ولعله لم يذكر حادث المرأة الزانية عمدا، لأنه كان يعلم من ناحية أخرى قصة توبة المرأة الخاطئة الخصيصة بإنجيل لوقا. . . اكتشف السيد مارتان بودمير أحد أساتذة المعهد اللاهوتي في جنيف هذا المخطوط سنة ١٩٥٦ وأضافه إلى مكتبته برقم: البردي الثاني لبودمير Papy rus Bodmer 11 (المكتبة البودميرانية -Bib (Bodmeriana-Cologny Ppres Geneve ١٩٥٦)[1]. (liotheca

هذا الكلام بطوله يحاول قائله إثبات أن الأناجيل لم تحرف؛ ولم تصحف ولم تتعرض لأية دسيسة، غير أن القارئ لا يفهم مما نقل الأب بولس إلا خلاف ما يريد إثباته، ويتجلى ذلك من عدة أمور:

الأمر الأول: إنه ذكر أن هذه الأناجيل لم يقع فيها تحريف في القرنين الثاني والثالث والرابع معللا ذلك بأن لديهم مخطوطات قديمة من القرن الرابع وما بعده. ولو فرضنا أنها ما حرفت بعد العثور على تلك المخطوطات في قرون متأخرة، فما الذي يثبت أنها لم تحرف قبل العثور عليها وحفظها في تلك المكتبات المذكورة؟ بل وما يدريهم أن تلك المخطوطات برمتها موضوعة بأسماء أولئك الذين نسبت

---

(١) يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص٣١-٣٢.

إليهم؛ متَّى، مرقس، لوقا، يوحنَّا؟.

الأمر الثاني: نفي تحريفها في تلك القرون المذكورة لا يستقيم تعليله بوجود تلك المخطوطات في المكتبات المذكورة محفوظة بعد تلك القرون؛ القرن الثاني والثالث والرابع. يوضح ذلك:

لو أن إنسانا قال إن زيدا لم يذهب إلى لندن في السنوات الأربع الماضية لأنه موجود في مكة هذه السنة لكان أضحوكة لدى العقلاء، لأن الحوادث لا تعلل بما بعدها.

الأمر الثالث: إن توثيق النصوص لا يبنى على أهواء الناس ورغباتهم وعواطفهم وإنما يبنى على قواعد علمية ثابتة ومعايير دقيقة. وقد تم فيما مضى عرض أقوال العلماء في هذه الأناجيل التي لم يعرف كاتبوها من الأساس ولم يتفق على تحديد اللغة التي كتبت بها، والأزمنة التي كتبت فيها، ولم تعرف إلا في أزمنة متأخرة عن أزمنة من نسبت إليهم من الكتاب، وبلغات غير اللغات الأصلية مع فقدان النسخ الأصلية، والجهالة بالمترجمين. والنسخ التي يشير إليها الأب بولس هي الترجمات وليست الأصول. والأصول مفقودة بإجماعهم. والنسخ المحفوظة اليوم في تلك المكتبات المذكورة نسخ مترجمة، ولا أحد يعلم هل تلك النسخ المترجمة هي الترجمة الأولى لتلك الأناجيل، أو هي ترجمات الترجمات؟

المطلب السادس: أمثلة يسيرة تثبت تحريفاً في الترجمة في كتبهم:

سبق الكلام في أن التحريف قد يكون عمدا تأييدا لعقيدة أو ردا لفكرة، وقد يكون بسبب الجهل باللغتين أو إحداهما، أو بسبب الجهل بالمصطلحات الشرعية. وأيا كان السبب فإن التحريف في الترجمة واقع في كتابهم المقدس. وإلى القارئ أمثلة يسيرة من ذلك:

المثال الأول: ترجمة كلمة: "إلوهيم" العبرية الواردة في سفر التكوين حيث ترجمتها النسخ المعتمدة لدى النصارى بـ"الله" في اللغة العربية وترجمت التوراة السامرية بـ"السلاطين" وقد وردت الترجمة النصرانية هكذا: "وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات"[(١)].

والترجمة السامرية هكذا: "وكان لما ابتدأ الناس للكثرة على وجه الأرض وبنات ولدن لهم نظر بنو السلاطين بنات الناس إذ حسان هن"[(٢)].

ويلاحظ هنا الفرق الخطير بين الترجمتين إذ ترجمة الكلمة الأصلية بلفظ الجلالة في نسخ وترجمة الكلمة نفسها بالسلاطين في نسخة أخرى تظهر الفرق الكبير بين المعنيين

---

(١) سفر التكوين١ : ٦-٢.

(٢) التوراة السامرية تكوين ١ : ٦-٢

فالله تعالى لا ولد له ونسبة البنين إليه مناف لهذه الحقيقة إلا إذا أريد به الصلاح والتقوى. والسلاطين لا شك أنهم بشر لهم أبناء وليس في نسبة الأبناء إليهم ما يخل بالعقيدة فليتأمل.

المثال الثاني: ترجمت النسخة النصرانية نصا في العهد القديم

من سفر التكوين هكذا: "وقال الله نخلق الإنسان على صورتنا كشبهنا... فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم"[1].

وفي السامرية: "وقال الله نخلق إنسانا بشبهنا وصورتنا... وخلق الله الإنسان بقدرته. بصورة الملائكة خلقه. ذكرا وأنثى خلقهما"[2].

تعليق:

ويلاحظ الفرق الكبير بين الترجمة الأولى التي جاء فيها "على صورة الله خلقه" والترجمة الثانية التي جاء فيها "بصورة الملائكة خلقه" فشتان بين أن يخلق الإنسان على صورة الله وبين أن يخلق على صورة الملائكة فأيهما هو الصحيح في الأصل؟ وهل كلاهما صحيح؟.

المثال الثالث: ترجمت كثير من النسخ النصرانية نصا ورد في

سفر المزامير هكذا:

---

(١) تكوين ٢٦: ١-٢٧.

(٢) السامرية تكوين ٢٦: ١-٢٧.

" طوبى لأناس عزهم بك طرق بيتك في قلوبهم. عابرين في وادي البكاء "[1]،

وترجمت النسخة المشهورة بنسخة الملك جيمس الإنجليزية هكذا:

(Blessed is the man whose strength is in you whose heart is set on pilgrimage As they pass through the vally of Bacca)

تعليق:

الفرق بين الترجمات الشائعة إلى اللغات المختلفة من عربية وإنجليزية وحبشية وأورومية "وادي البكاء" فيها كلها. بينما ترجمت نسخة الملك جيمس وادي البكاء: بوادي "بكة". وهذا واضح من كتابة الكلمة بالحرف الكبير من بداية الكلمة في الإنجليزية للدلالة على أنها علم على مكان، وليس كلمة تترجم بوادي البكاء. ولما كان المراد بوادي بكة هو وادي مكة حيث بيت الله الحرام جرى التحريف في الترجمة كتمانا للحق، لأن الاعتراف بذلك يلزم منه الاعتراف بنبوة محمد ﷺ، حيث إن ذكر مكة والبيت الحرام والحجاج، وبئر زمزم هذا الينبوع المتدفق في هذا الوادي المبارك بهذه الصراحة والبيان يوجب على أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن يبادروا إلى الإيمان بالإسلام ورسوله ﷺ، لأن ذلك وصية الله للأولين وميثاق أخذه من

(١) مزامير ٨٤: ٥-٦.

الأنبياء السابقين . ولكن اليهود والنصارى ما حرفوا معنى هذه الكلمة إلا كفرا بما دلت عليه : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٨٩] .

المثال الرابع : جاء في سفر التكوين في الترجمة النصرانية النص التالي :

" وعندما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة **ظهر الرب لإبرام** وقال أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملاً " [١] وجاء في السامرية :

" ولما صار إبرام ابن تسعين وتسع سنين **تجلى ملاك الله لإبرام** وقال أنا القادر الكافي أسلك في طاعتي وكن كاملاً " [٢] .

فشتان ما بين الترجمتين ترجمة نصرانية تقول أن الله هو الذي ظهر لإبراهيم ، وترجمة سامرية تقول إن الذي ظهر هو ملاك الله تعالى أي إنه هو الذي بلغ إلى إبراهيم أمر الله تعالى له .

المثال الخامس : جاء أيضاً في سفر التكوين في الإصحاح الثامن عشر النص التالي عن إبراهيم عليه السلام :

في الترجمة النصرانية : " وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه

---

(١) تكوين ١٧ : ١ .

(٢) السامرية ١٧ : ١ .

ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض وقال يا سيد إن كنت وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك "(١) .

وفي الترجمة السامرية : "وتجلى له الله في مروج ممرا وهو جالس بباب الخباء عند حمو النهار. فرفع عينيه ونظر وهو ذا ثلاثة رسل قائمين حوله، فلما نظر نهض للقائهم من باب الخباء وسجد إلى الأرض وقال يا موالي إن الآن وجدت حظاً عندكم لا الآن تعبروا عن عبدكم "(٢)

تعليق:

إن الفرق بين الترجمتين واضح، فالأولى تجعل الرب واحد من الرجال الثلاثة، ولذلك سجد له إبراهيم وخاطبه من بينهم قائلاً : "يا سيد" .

وأما الترجمة السامرية فإنها صريحة في أن الثلاثة الذين جاءوا هم رسل وأن إبراهيم خاطبهم جميعاً قائلاً لهم : يا موالي. وكذلك يلاحظ الفرق بين الظهور الإلهي وبين التجلي الإلهي بين الترجمتين.

وكيف ينكرون عدم وجود التحريف والتصحيف عمداً أو سهواً أو جهلاً مع مئات الشواهد في كل من العهدين القديم والجديد. وقد اكتفينا بهذه الأمثلة التي لا تزال تشهد عليهم بوجود جميع أنواع التحريف.

---

(١) تكوين ١٨ : ١-٣ .

(٢) السامرية تكوين ١ :١٨- ٣,

المبحث السادس: تضارب نصوص الأناجيل

المطلب الأول: في نسب المسيح عليه السلام:

١ - جاء في إنجيل متَّى في نسب المسيح عليه السلام أنه يرجع في نسبه إلى سليمان بن داود[(١)]. أما في إنجيل لوقا فإن نسبه يرجع إلى ناثان بن داود عليه السلام[(٢)].

٢- وجاء في إنجيل متَّى أن من سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً أي من شألتئيل ابن يكنيا إلى المسيح عليه السلام[(٣)].

وبالعد والإحصاء لما ذكره من آباء المسيح يجد القارئ أن ذلك ثلاثة عشر جيلاً فقط[(٤)]. وفي هذا من التناقض ما لا يخفى فإن هذا الإنجيل لو كان كتب بالوحي أو بالإلهام كما يزعم النصارى لما كان فيه هذا الخطأ.

٣- من المسيح إلى إبراهيم عليهما السلام واحد وثلاثون جيلا في رواية متَّى. وفي رواية لوقا يكون العدد ستة وأربعين جيلا.

٤- إن سلسلة النسب في إنجيل متَّى تخالف سلسلة النسب في إنجيل لوقا بعد داود عليه السلام إذ يورد متَّى كما سبق أن المسيح ابن سليمان بن داود ولوقا يروي أنه ابن

---

(١) متَّى ١ : ٦.
(٢) لوقا ٣ : ٣١.
(٣) متَّى ١ : ١٦.
(٤) متَّى ١ : ١٢-١٦.

ناثان بن داود ثم يستمر الاختلاف بين الروايتين إلى المسيح عليه السلام فتبلغ الزيادة في نسبه عند لوقا خمسة عشر رجلاً. فبأي الروايتين يؤخذ في نسبه عليه السلام ؟ فإذا كانت الأناجيل كتبت بالإلهام كما يقولون فلماذا هذا الاختلاف العجيب بالزيادة وبالنقصان والتغيير ؟!

٥- من إبراهيم إلى آدم عليهما السلام زاد لوقا في سلسلة النسب بين شالح وأرفكشاد: قينان فزعم أن شالح بن قينان بن أرفكشاد[1] فبلغ بسلسلة النسب خمسة وسبعين. بينما روى سفر التكوين أن شالح بن أرفكشاد.

فأي الروايتين وحي وإلهام ؟ وأيهما أحق بالقبول أو الرد ؟ فكيف يعقل أن يكون كل هذا من الله عز وجل بوحي أو إلهام ؟!

٦- تبلغ سلسلة النسب من المسيح إلى إبراهيم عليه السلام عند متَّى واحداً وأربعين رجلاً. أما عند لوقا فتبلغ ستة وخمسين رجلاً. فقد ساق ذكر سلسلة نسب المسيح إلى آدم عليهما السلام وأما متّى فقد اقتصر في سرد سلسلة النسب على نسبه إلى إبراهيم عليه السلام، بينما نجد لوقا حينما يسوق ذلك إلى آدم عليه السلام يقول: "ابن شيت بن آدم ابن الله".

---

(١) لوقا٣: ٣٥-٣٦.

المطلب الثاني: في حادثة المرأة الأممية:

١ - جاء في إنجيل متَّى ما نصه :

"ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيداء وإذا مرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة : ارحمني يا سيد يا ابن داود ابنتي مجنونة جداً فلم يجبها بكلمة . فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا . فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة فأتت وسجدت له قائلة : يا سيد أعنِّي . فأجاب وقال : ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب . فقالت نعم يا سيد والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها . حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة عظيم إيمانك ليكن لكً كما تريدين فشفيت ابنتها من تلك الساعة[١] .

٢ - أما رواية مرقس فأوردت القصة هكذا :

"ثم قام من هناك ومضى إلى تخوم صور وصيداء ودخل بيتاً وهو يريد أن لا يعلم أحد فلم يقدر أن يختفي . لأن امرأة كانت بابنتها روح نجس سمعت به فأتت وخرت بين قدميه . وكانت المرأة أممية وفي جنسها فينيقية سورية فسألته أن يخرج الشيطان من ابنتها . وأما يسوع فقال لها : دعي البنين أولاً يشبعون لأنه ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب فأجابت

---

(١) متَّى ١٥ : ٢١-٢٨

وقالت له : نعم يا سيد والكلاب أيضاً تحت المائدة تأكل من فتات البنين. فقال لها : لأجل هذه الكلمة اذهبي قد خرج الشيطان من ابنتك فذهبت إلى بيتها ووجدت الشيطان قد خرج والابنة مطروحة على الفراش "[1].

فبالمقابلة بين النصين نجد التناقض بينهما في عدة قضايا :

أولاها : أن المرأة كانت تصيح وراء المسيح وتلاميذه وهم منصرفون إلى نواحي صيداء وصور فكان المسيح لا يرد عليها بكلمة فقال له التلاميذ : " اصرفها لأنها تصيح وراءنا " وهذا يفيد أن هذا تم في الطريق وهو في حالة انصراف. هذا في رواية متَّى. أما رواية مرقس فصرحت بأن ذلك كان في بيت.

ثانيها : أن المسيح في رواية متَّى قال للمرأة : " لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة " . وأما في رواية مرقس فلم يرد ذلك على أهمية ذلك القول. لأنه تصريح بخصوصية رسالته لبني إسرائيل.

ثالثها : أن المسيح قال للمرأة في رواية متَّى : " ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب " وأما في رواية مرقس فإنه قال لها : " دعي البنين أولا يشبعون " . ثم علل ذلك بقوله : " لأنه ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب " .

---

(١) مرقس ٧ : ٢٤-٣٠.

فالفرق بين الروايتين أن رواية متَّى تدل على الحرمان القطعي لغير بيت إسرائيل، بينما تدل رواية مرقس على أن الأولوية في الخبز للأبناء وهم بنو إسرائيل فإذا شبعوا كان للكلاب نصيب وهم سائر الشعوب.

ثم إنه ليس من أخلاق الأفاضل من الناس فضلا عن الأنبياء الذين هم في أعلى مراتب الأخلاق الفاضلة من يشبه من ليس من بني جلدته بالكلاب فيرتب على ذلك حرمانهم مما بعثهم الله به من الهدى والخير. وهذه فرية على المسيح عليه السلام وليست من أقواله ولا من أخلاقه وإنما هي نزعة عنصرية يهودية. فاليهود هم الذين اصطلحوا أن يطلقوا على من عداهم من الأمم اسم الأمميين ويصفوهم بصفات الكلاب وغيرها من الحيوانات. وهذا من صميم عقيدة الفريسيين واضعي التلمود، وليست من دين الأنبياء في شيء. ولما كان الاستهزاء بالناس من صفات الجاهلين قال موسى لقومه عندما قالوا: ﴿أتتخذنا هزوا﴾ وذلك بعد ما بلغهم بأمر الله إياهم بذبح بقرة قال: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، ولو كان ما نسبوه إليه صحيحا لما تراجع واستجاب لطلبها الذي طلبته منه بإلحاح فالتراجع عن الكلام الأول الذي يخصص الرسالة ببني إسرائيل لا يخلو من أحد أمرين:

أحدهما: أن القول الأول غير صحيح. أي أن رسالته لم تكن خاصة وإن غير بني إسرائيل من الأمم لهم

نصيب مما جاء به المسيح من الخير . فيتفرع عن هذا أن يكون المسيح قال ما لا يصح ، فحاشاه أن يكذب على الله عز وجل وهو الذي يقول الله في حقه حينما يشهد على من عبدوه وأمه بأنه ما أمرهم إلا بما أمره الله أن يبلغهم ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له . وذلك يوم القيامة حينما يتبرأ منهم ويبين انهم قالوا عليه ما لم يقل ، فيصدقه الله عز وجل في ذلك الموطن : ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة : ١١٩] .

ثانيهما : أن يكون ذلك صحيحا فيما يتعلق بخصوصية رسالته ولكنه نسخ الحكم أو جاءه الاستثناء من قبل الله تعالى فلما جاءته المرأة أخبرها بما عنده من التعليمات الإلهية ثم جاء النسخ بخصوصها أو بخصوص بعض الحالات . ولكن المتأمل هنا يجد أن المرأة طلبت من المسيح أن يكون لها عونا في شفاء ابنتها وهي ترجو أن يتم ذلك على يديه . فذكر خصوصية رسالته في هذا المقام غير مناسب ، فالغريق الذي يطلب الإنقاذ ، والمريض الذي يطلب العلاج لا يعتذر إليهما معتذر أيا كان بأنه مشغول بقومه . فالمسيح عليه السلام هنا بمثابة الطبيب المداوي . فلو رفض طبيب ما مداواة

مريض مدنف بدافع العنصرية لكان معابا عند العقلاء ومذموما ذما شديدا فكيف إذا كان الذي نسب إليه هذا الأمر نبيا كريما رحيما؟.

وهنا أمر آخر وهو أن هذه الرواية تؤكد أن المسيح نبي مرسل وليس بإله لأن الإله هو إله الجميع ولو كان كذلك لما جاز له أن يقول أنه مختص ببني إسرائيل، فكيف يعتذر رب الخلق جميعا إلى بعض خلقه بأنه مرسل إلى البعض لا إلى الكل. فانظروا إلى قبح ما يعتقدون مع شهادة كتبهم عليهم بالتناقض واعجبوا من ذلك!!

المطلب الثالث: في قصة المسيح مع موسى وإيليا: (إلياس) عليهم السلام:

روى النصارى في أناجيلهم أن المسيح عليه السلام صعد ببعض تلاميذه جبلا عاليا فتغيرت هيئته قدامهم ثم ظهر موسى وإيليا فتكلما معه فعرض بطرس على المسيح أن يبني ثلاث مظال للثلاثة فجاءت سحابة فظللتهم، وجاء صوت من السحابة ينادي: "هذا هو ابني الحبيب".

فقد اختلفت الروايات في هذه القصة اختلافا مهما:

١- فإنجيل متَّى يقول: "فإذا سحابة نيرة ظللتهم"[١] فوصف السحابة بأنها نيرة،

٢- وأما إنجيل مرقس فيقول: "وكانت سحابة تظللهم"[٢]

---

(١) متَّى ١٧ : ٥

(٢) مرقس ٩ : ٧.

فلم توصف السحابة بذلك الوصف فالاختلاف في ذكر أحدهما صفة مهمة غير عادية للسحابة وعدم ذكر الآخر ذلك يشكك في صحة الرواية، وإن لم يكن تناقضا.

٣- وجاء في القصة عند متَّى أن الصوت الذي سمع من السحابة قال: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت"[١] أما عند مرقس فقد جاء قوله: "هذا هو ابني الحبيب"[٢] فلم يذكر الذي به سررت. فما سبب ذكره عند متَّى وتركه عند مرقس؟ ألأنَّ ذلك غير ذي بال في الرواية؟ أم لأنه لم يحصل ذلك أصلا؟ وأيا كان السبب فالاختلاف واقع بين الروايتين وإن لم يكن اختلاف تضاد[٣].

٤- وكذلك جاء في القصة عند متَّى أن التلاميذ الثلاثة الذين كانوا مع المسيح سقطوا على وجوههم عندما سمعوا ذلك الصوت من السماء وخافوا جدا. وذلك حيث يقول: "ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدا"[٤].

وأما عند مرقس فقد خلت الرواية عن ذكر ذلك أو الإشارة إليه.

٥- وجاء في رواية متَّى قوله: "فجاء يسوع ولمسهم وقال

---

(١) متَّى ١٧ : ٥.

(٢) مرقس ٩ : ٧.

(٣) إن الأمر يتعلق بصلب عقيدتهم، فالمنادي من السماء حسب زعمهم هو الرب، والابن الحبيب هو المسيح، وهو نص شبيه بنص التعميد من نهر الأردن على يد يوحنا، حيث رووا أن صوتاً من السماء ناداه كذلك. وهو أول نص يتعلقون به في إثبات البنوة المزعومة.

(٤) متَّى ١٧ : ٦.

قوموا ولا تخافوا "[1] فلم يرد ذلك في رواية مرقس لأن رواية متَّى مبنية على أساس خوف التلاميذ وسقوطهم على وجوههم من شدة الرعب.

٦- كما جاء في رواية متَّى قوله: " فرفعوا أعينهم فلم يروا أحدا إلا يسوع وحده "[2].

وأما رواية مرقس فتقول: " فنظروا حولهم بغتة ولم يروا أحدا غير يسوع وحده معهم "[3]، فرواية متَّى مبنية على أنهم رفعوا أعينهم بعد أن لمسهم المسيح وطمأنهم بأن لا يخافوا. ورواية مرقس تدل على أن نظرهم كان بعد سماعهم صوت المنادي من السحابة. فالاختلاف بين الروايتين واقع.

قد يقول قائل: إن الاختلاف بالزيادة حينا وبالنقصان حينا آخر بين نصوص الأناجيل لا يعتبر قادحا فيها لأن مثله موجود في الأحاديث النبوية في الإسلام حيث يورد الرواة الحديث الواحد بعبارات مختلفة فلا يقدح ذلك في صحتها فكيف اعتبرتم اختلاف العبارات في الأناجيل قادحا؟

الجواب من وجهين:

الوجه الأول: إن الأحاديث النبوية الشريفة لم يدع أحد أنها كتبت بوحي أو إلهام بينما يرى النصارى أن أناجيلهم كتبت بالإلهام وما كتب بالإلهام والوحي لا يتطرق إليه خطأ ما.

---

(١) متَّى ١٧ : ٧.
(٢) متَّى ١٧ : ٨.
(٣) مرقس ٩ : ٨.

الوجه الثاني: أن رواة أحاديث النبي ﷺ ضربوا المثل الأعلى في الحفظ والإتقان وتحري الألفاظ التي سمعوها دون الرواية بالمعنى فإذا ما شك أحدهم في كلمة أقالها أو قال مرادفها أو رد الكلمة ومرادفها بعبارة تدل على شك الرواي أي الكلمتين قال. وهذا غاية في الضبط وغاية في النزاهة.

وثم وجه ثالث: هو أن الزيادة والنقصان في الأحاديث النبوية لا تناقض بينهما. بينما يوجد بين الزيادة والنقصان الواردين في رواية النصارى التناقض الواضح. مثل الاختلاف في العدد وفي الأنساب والاختلاف في سلسلة نسب المسيح وغير ذلك. وهذا ينافي كتابتها بالوحي والإلهام.

وقد يرد هنا سؤال آخر، وهو أننا نجد في القرآن الكريم اختلافا في الأخبار والقصص إذ ترد في سورة من سوره قصة كقصة موسى مثلا مطولة مفصلة، وفي سورة أخرى موجزة مجملة وأمثال هذا كثير في القرآن. فكيف ينكر ما بين الأناجيل من اختلاف في الألفاظ بنقص أو زيادة؟

فالجواب من وجهين أيضاً:

الوجه الأول: إن القرآن الكريم كتاب واحد فما ورد في بعض سوره مجملا يكون تفصيله في موضع آخر منه فلا تنافي بين مجمله ومفصله. فلو أن إنسانا تكلم بكلام موجز مجمل في موضع ثم فصله في موضع آخر لم يعتبر ذلك

قادحا. أما الأناجيل فهي كتب أربعة مستقلة يذكر النصارى أنها كتبت من قبل من نسبت إليهم بإلهام وكل إنجيل منها يعتبر كتابا مستقلا أي إنها إلهام أو وحي إلى أربعة كتّاب. فالقرآن الكريم واحد متكامل وأوحي به إلى شخص واحد وهو محمد ﷺ.

الوجه الثاني: إن ما يعتبر من خوارق العادات وركائز الاعتقادات، لا بد من ذكره باتفاق بين الرواة لأنها من الأمور الأساسية في الدين. وحينما يصدر صوت من السماء بحيث يسمعه بعض من في الأرض يعتبر حدثا غريبا خارقا للعادة. والاختلاف في نقل ما جاء في الصوت من كلام بالزيادة والنقص مع أهمية ما لم يذكر الآخر في مغزاه ومعناه يجعل القارئ في شك من القصة من أساسها. وهنا أمر تجدر الإشارة إليه، وهو أنهم يعتقدون هنا أن الصوت المسموع هنا في قصة اعتماد المسيح من يوحنا صوت الله. فقد روى يوحنا أن المسيح قال لتلاميذه: "ولم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته"[1].

وعلى فرض صحة ما روي في هذا المجال فمن الذي بين لهم أن ذلك الصوت هو صوت الرب سبحانه وتعالى؟ أفلا يجوز أن يكون ذلك صوت الشيطان؟ وخصوصا مع ما يروي النصارى من أن الشيطان تمكن من حمل المسيح ورفعه

---

(١) يوحنا ٥: ٣٧.

إلى جبل عال وطلبه السجود له، وإيقافه على جناح الهيكل وطلبه أن يلقي نفسه منه، كما سبق ذكر ذلك. كيف أمن النصارى الشيطان واطمأنوا إلى هذا الصوت وقالوا إن الرب هو المتكلم؟

المطلب الرابع: تناقض رواية لوقا في أمر السلام:

روى لوقا روايتين متناقضتين في حديثه عن السلام فمرة وصف المسيح عليه السلام بأنه جاء بالسلام إلى الأرض، ومرة أخرى روى ما ينافي ذلك. وفي إثبات السلام روى لوقا أن الملائكة قالوا عند ميلاد المسيح عليه السلام:

" المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة "[1]. وفي هذا إشارة إلى أنه جاء بالسلام إلى الأرض. غير أن لوقا يأتي برواية أخرى تنافي هذه الرواية إذ يقول على لسان المسيح: " جئت لألقي نارا على الأرض... أتظنون أني جئت لأعطى سلاما على الأرض كلا، أقول لكم بل انقساما لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين، واثنان على ثلاثة، ينقسم الأب على الابن والابن على الأب، والأم على البنت والبنت على الأم، والحماة على كنتها والكنة على حماتها "[2].

وفي هذا نفي السلام في أظهر عبارة وأبينها وأجلاها.

---

(١) لوقا ٢ : ١٤.
(٢) لوقا ١٢ : ٤٩-٥٣.

فأين السلام الذي بشرت به الملائكة وتغنت به يوم ميلاده. هل الملائكة أخطأت في بشارتها أو المسيح قال كلاما غير صحيح؟ كل منهما لم يكن، لا الملائكة أخطأت ولا المسيح قال مالا يصح، ولكن الكتّاب كتبوا ما لا يصح فتناقضوا. ثم إن الأشبه من حيث الواقع أن ما قاله المسيح عن نفسه حسب رواية لوقا أقرب إلى الصحة فإن الناس بعد مبعثه قد اختلفوا فنزلت محن وفتن بمن آمن به حتى انقرض المؤمنون به إيمانا صحيحا بعد أن عرضوا للعذاب والنكال عرضا. بل حتى أولئك الذين تمسحوا به على أنهم من أتباعه ولم يكونوا كذلك نالهم من العذاب ما هو معروف بهوله في كتب التاريخ.

المطلب الخامس: تناقض لوقا ومتّى في قصة اعتماد المسيح:

روى متَّى في قصة اعتماد المسيح على يد يوحنَّا المعمدان (يحي) ما رواه لوقا في ذلك حيث قال: "فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتيا عليه وصوت من السماوات قائلا: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت"[(١)].

وأما لوقا فيقول في روايته: "ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً، وإذ كان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل الحمامة، وكان صوت من السماء قائلاً: "أنت ابني الحبيب بك سررت"[(٢)].

---

(١) متَّى ٣: ١٦-١٧.
(٢) لوقا ٣: ٢١-٢٢.

وفي رواية متَّى أن السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً عليه عقب صعوده من الماء بعد التعميد. أما في رواية لوقا فإن ذلك حصل له وهو يصلي حيث قال: وإذ كان يصلي. ففي ذلك تناقص واضح. وكذلك يجد القارئ من وجوه الاختلاف بين النصين في قول متَّى: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. ففرق بين أن يأتي النداء على سبيل الخطاب للمسيح، أو أن يكون مجرداً عن الخطاب فيكون فإذا صح أحدهما لم يصح الآخر. ولا شك في عدم صحة كليهما.

ومع أن النصارى يزعمون أن ذلك الصوت صوت الرب تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ويستدلون بهذا وغيره على أن المسيح ابن الله، فإنهم لم يقولوا لنا من الذي سمع ذلك الصوت؟ هل المسيح هو الذي سمع وأخبر به؟ أو أن الحاضرين هم الذين سمعوا و نقلوه نقلاً صحيحاً متصلاً حتى كتب؟ ومن الذي شاهد انفتاح السماوات له؟ الناس جميعاً؟ أو المسيح أخبر به؟ فإذا أخبر به فلماذا لم يسند إليه أنه سمع الصوت، ورأى روح القدس أو روح الله مثل حمامة وهو نازل، ورأى السماوات قد انفتحت ولم لم يخبرهم أن ذلك كله وقع له؟!.

الفصل الثاني

نصوص الأناجيل التي بنيت عليها عقيدة النصارى في المسيح وما ينافيها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: وصف الرب بالأبوة والمسيح بالبنوة

المبحث الثاني: الفرق بين صفات الله وصفات المسيح

المبحث الثالث: صفات المسيح في نصوص الأناجيل

المبحث الرابع: القبض على المسيح وصلبه وقيامته في الأناجيل

المبحث الأول: وصف الرب بالأبوة والمسيح بالبنوة في الأناجيل

المطلب الأول: صيغ إطلاق صفة البنوة على المسيح في الأناجيل وأنواعها:

أطلقت في الأناجيل الأربعة على المسيح صفة البنوة في عديد من نصوصها في صور عديدة هي على النحو التالي:

منها: إطلاق غيره عليه كلمة: "ابن الله" صريحة بهذا اللفظ سواء كان ذلك الغير من أعدائه أو من محبيه.

ومنها: إطلاق المسيح نفسه كلمة: "الابن" على نفسه مقطوعة عن الإضافة، ومعرفة بأل التعريفية.

ومنها: إطلاقه على نفسه كلمة: "ابن الإنسان" بهذه الصيغة مريدا بها نفسه.

أما الصورة الأولى وهي كلمة: "ابن الله" فلم يطلقها المسيح على نفسه حسب روايات الأناجيل غير ما جاء في إنجيل يوحنا من نسبة ذلك إليه خلافا لبقية الأناجيل في نفس الموضع من الرواية. وأن الذين أطلقوا عليه هذه العبارة الصريحة هم الشياطين، أو الأعداء من اليهود الذين ادعوا عليه أنه يقول ذلك افتراءا عليه. ونسبت إلى بعض محبيه مثل يوحنا المعمدان عقب اعتماد المسيح على يديه، مع أن نسبة ذلك إلى يوحنا مخالف لأكثر الروايات التي جاءت في

الأناجيل الثلاثة التي نسبت كلمة: "ابني الحبيب" إلى صوت من السماء، بينما نسب يوحنا إلى يوحنا المعمدان أنه قال: "هذا هو ابن الله". وما يأتي في هذا الإنجيل مخالف في الغالب لما في بقية الأناجيل، لأن هذا الإنجيل ما كتب إلا لإثبات ألوهية المسيح، ولا يختلف علماء النصارى في ذلك. وقد سبق أن ذلك الصوت المسموع من السماء لم يكن إلا صوت الشيطان الذي أراد أن يضل من لا يقيم وزنا لشرائع الأنبياء الذين ما فتئوا يدعون إلى وحدانية الله تعالى في جميع الأجيال وفي جميع الأمم، وأكثر ما كان من ذلك في بني إسرائيل الذين أرسل إليهم المسيح لإحياء ما أماتوه من شريعة موسى، فقام شياطين الجن والإنس بإماتة دين التوحيد باسم المسيح عليه السلام والمسيح منه براء.

إن النصوص التي وردت في الأناجيل الأربعة في نسبة البنوة لله إلى المسيح، أو الأبوة للمسيح إلى الله تعالى تبلغ نحو مائة وعشرين في مجموعها، وأكثرها روايات متكررة عن حادثة واحدة في الأناجيل الأربعة. وإذا حذف التكرار أصبحت أقل من هذا العدد بكثير. وأما ما ورد من نصوص في وصف المسيح بابن الإنسان، فقد بلغت نحو ثمانين مرة. فلماذا لم يأخذ النصارى بهذه العبارة الصريحة في معناها، والصحيحة في الدلالة على واقع المسيح الذي هو البشرية والعبودية والنبوة والرسالة؟! إنه لأمر عجيب. فعبارة ابن

الإنسان وردت على لسان المسيح، وأما تلك التي وصفته بأنه ابن الله فلم ترد على لسان المسيح إلا بعبارات غير صريحة. فالمسيح عليه السلام علم النزعة الشركية في بني إسرائيل فوصف نفسه بعبارات صريحة أنه ابن الإنسان. ولم يصف نفسه بأنه ابن الله بعبارة صريحة كما سبق بيان ذلك. فلماذا تجاوز النصارى هذه الروايات والعبارات الصريحة وأهملوها، وتشبثوا بما لا تقره العقول والشرائع، فقالوا إنه ابن الله حقيقة منذ الأزل؟ وقد ذهب المفتونون إلى تأويل كلمة ابن الإنسان بأن ذلك تواضع منه عليه السلام. فيقال لهم: أولستم تزعمون أنه إله؟ فلماذا يتواضع الإله؟ ولمن يتواضع؟ فصاحب الربوبية الحقة لا يتواضع لأنه ذو العزة والكبرياء على خلقه أجمعين، وإنما خلقه هم الذين يتواضعون، لأنهم لا حق لهم في الكبرياء والتعالي. والله عز وجل هو الكبير المتعال في السماوات والأرض. فكيف يزعمون أنه قال ذلك تواضعا، وهم الذين يقولون إنه هو الله مع قولهم: إنه ابن الله، إذ يقولون: "الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس، أقانيم ثلاثة، وهي إله واحد.

جاء في كتاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس عند تفسير النص الذي يتعلق باعتماد المسيح على يد يوحنا المعمدان ونزول الروح عليه مثل حمامة، وسماع صوت من السماء، جاء قول مؤلفيه: "وفي هذا الفصل نرى الأقانيم

الثلاثة موجودين وعاملين. فالله الآب تكلم، والله الابن اعتمد، ونزل الله الروح القدس على يسوع فالله واحد ولكنه في نفس الوقت ثلاثة أقانيم "(١).

هكذا: الله الآب تكلم: "هذا ابني الحبيب الذي به سررت" والله الابن اعتمد على يد يوحنا غاطسا في نهر الأردن، والله الروح القدس نزل بهيئة جسمية على المسيح. وهذه العقول الخاملة الحائرة استحقت لعنة الله في كتابه الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١].

كيف لا تلعن وبقايا ما جاء في كتب الأنبياء من مبادئ التوحيد في أيديهم؟ كيف لا تلعن والمسيح لم يأت بنسخها وتبديلها كما يروون عنه؟ كيف لا تلعن والمسيح يرفع صوته عشرات المرات أنه ابن الإنسان؟ كيف لا تلعن والمسيح يصرح عشرات المرات أنه مرسل من ربه؟ كيف لا تلعن والعقول السليمة على خلاف ما اعتقدوه واعتبروه دينا؟!!

المطلب الثاني: إطلاقات الأناجيل كلمة الابن على المسيح وأنواعها

ورد في الأناجيل وصف المسيح عليه السلام بأنه: "ابن

---

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص ١٨٧٥.

الله تعالى " . فالنصوص الواردة في ذلك ثلاثة أنواع : نوع ورد فيها وصفه بذلك من قبل أعدائه : وهم إبليس وحزبه من شياطين الجن . ونوع ورد فيها وصفه بذلك من قبل من ادعى عليه أنه وصف بها نفسه ، وذلك من قبل أعدائه من شياطين الإنس . ونوع زعمت الروايات أنه هو الذي وصف بها نفسه ، وسيأتي عرض ذلك فيما يأتي :

النوع الأول : وصف إبليس له بالبنوة :

روت الأناجيل أن الناس كانوا قد تعمدوا في أحد الأيام على يد يوحنا المعمدان وقد تعمد المسيح أيضاً على يده وصعد من الماء فسمع صوت من السماء يقول في المسيح أنه ابنه الحبيب ، غير أن يوحنا لم يتفق مع الثلاثة في ذلك إذ نسب القول بأن المسيح ابن الله إلى يوحنا . ومع وجود بعض الاختلافات بين الأناجيل الأربعة في السياق فإنها متقاربة في الهدف : أما إنجيل متى فقد جاء فيه : " وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه ، وصوت من السماوات قائلاً : " هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت "[1] . وأما لوقا فتقول روايته : " ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً . وإذ كان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة ، وكان صوت من السماء قائلاً : أنت ابني الحبيب بك سررت "[2] .

---

(١) متّى ٣ : ١٧ .
(٢) لوقا ٣ : ٢١ .

وأما إنجيل مرقس فتقول روايته : " وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السماوات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه . وكان صوت من السماوات أنت ابني الحبيب الذي به سررت "[1] .

وأما رواية إنجيل يوحنا فقد جاء فيها قوله : " وشهد يوحنا قائلاً : إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه . وأنا لم أكن أعرفه . لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي . الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس . وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله "[2] .

هذه النصوص الأربعة مع ما بينها من الاختلاف في سياق القصة في بعض الأمور ، فإنها تتفق في إثبات أن المسيح ابن الله . وهذا هو الذي يهمنا في هذا المطلب . النظر في ذلك يتجه إلى أمرين :

أحدهما : من قائل تلك المقالة؟

ثانيهما : ما صيغتها في الروايات الأربعة؟

مصدر الصوت المسموع وقائله :

تتفق الأناجيل الثلاثة الأولى على أن مصدر الصوت هو السماء ، ولم تتعرض للقائل من هو . وأما إنجيل يوحنا

---

(١) مرقس ١ : ١٠-١١ .
(٢) يوحنا : ١ : ٣٢-٣٤ .

فيذكر أن مصدر الصوت هو الأرض ، وأن القائل هو يوحنا المعمدان . أي يحي عليه السلام .

على رواية الثلاثة فالقائل مجهول قد يكون ملكاً وقد يكون شيطاناً ولكن النصارى يرون أن القائل هو الله تعالى ، وليس من دليل يدل على أن قائل ذلك هو الله تعالى . فالله تعالى يوحي إلى أنبيائه بطرق معروفة ليس هذا منها لأن الوحي هو الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره ، وهذا لم يكن كذلك . فإذا صحت الرواية فلا شك أن ذلك من الشيطان . فإن قيل كيف يقوى الشيطان على أن يدعي مثل هذا على هذا النبي؟

قيل : إن ذلك قد وقع من الشيطان لآدم حينما دلاه بغرور ، ووقع منه يوم بدر حيث قال لحزبه : ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال : ٤٨] فهزموا شر هزيمة . وقد نسب النصارى إليه ما هو أعظم في حق المسيح حيث زعموا أن إبليس جرب المسيح عليه السلام ، حيث أخذه وخرج به إلى البرية ، وذهب به إلى أماكن شتى ممتحنا إياه ، ثم عاد به إلى المدينة ، وأخذه إلى جبل عال وأراه جميع ممالك الدنيا . كل هذا روته أناجيلهم[1] . ولكنه مما لا يصدقه مؤمن بأنبياء الله الأطهار وعصمة الله تعالى لهم من تسلط الشياطين عليهم . وقد ذكرت قصة تجربة إبليس هذه عقب قصة النداء

(١) انظر متى : ٤ : ١-١٠ ومرقس ١ : ١٢-١٣ ولوقا ٤ : ١-١٣ .

الذي كان هذا التعليق عليه فليتأمل.

ثم إن هناك تباينا بين الروايات الثلاث في أي الحالات كان المسيح حينما نزل عليه الروح. في رواية متّى عقب صعوده من الماء: "فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السماوات . . . "، ورواية مرقس: "وهو صاعد من الماء"، ورواية لوقا: "وإذ كان يصلي انفتحت السماء" فأي هذه الحالات هي الواقع؟!

صيغة الصوت المسموع:

أما صيغة الصوت المسموع فقد اختلفت الروايات فيه على النحو التالي:

في رواية متّى صدرت الجملة باسم الإشارة المفرد وضمير المفرد الغائب: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت".

وفي رواية مرقس ولوقا صدرت الجملة بضمير الخطاب: "أنت" ثم أتم الجملة مرقس بقوله: "الذي به سررت" كما في رواية متّى، وأتمها لوقا بقوله: "بك سررت". والخلاف المعتبر هنا أن يكون المسيح غير مخاطب في رواية متّى وأن يكون مخاطبا في روايتي مرقس ولوقا. فعلى افتراض صحة الرواية فأيهما هو الواقع؟!

ثم أن رواية يوحنا خالفت الأناجيل الثلاثة بأن نسبت القول إلى يوحنا المعمدان لا إلى مصدر في السماء وعلى فرض صحة الروايات فما المقبول من ذلك؟ أصوت مصدره

السماوات غير معلوم صاحبه أم صوت مصدره الأرض صاحبه يوحنا المعمدان؟! ما المعقول المقبول؟!

إن هذه الاختلافات في روايات هذه الكتب التي يقدسها النصارى ويعتبرونها مصدر دينهم عقيدة وشريعة تظهر لنا الاضطراب الشديد في روايات الأناجيل في قضية تعتبر لديهم أهم قضايا العقيدة وهي قضية اعتقاد بنوة المسيح لله تعالى.

صيغ الرواية وما يفهم منها:

إن الروايتين السابقتين ليس فيهما عنصر التفاعل بين الحاضرين للاعتماد من يوحنا وبين المسيح عليه السلام وبين ذلك الصوت المسموع أو الروح النازل على صورة حمامة على المسيح، والصوت مرة فيه خطاب لواحد من الحاضرين غير معين حسب سياق الكلام، أهو يوحنا وهو الذي احتشد له الناس بما فيهم المسيح، أو المسيح هو المخاطب كما زعموا، أو غيرهما من الحاضرين فالكلام محتمل في الحالتين؛ حالة الخطاب "أنت ابني الحبيب بك سررت" وحالة الغيبة والإشارة المعنوية التي يمكن أن يقصد بها واحد: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" فعلى كلتا الحالتين فإن ياء المتكلم مبهمة، كما أن اسم الإشارة وضمير المخاطب مبهمان أيضاً. فمن المتكلم؟ ومن المخاطب أو المشار إليه من بين الحاضرين؟ وهنا سؤال يطرح؛ فهو كيف علمتم أن المنادي هو الرب، والمشار إليه أو المخاطب هو

المسيح لا غيره؟!

روت الأناجيل الثلاثة الأولى ما عدا إنجيل يوحنا أن إبليس قام بأخذ المسيح إلى أماكن شتى ليجربه كما سبقت الإشارة إلى ذلك آنفاً غير أن مرقس لم يورد في روايته وصفه أنه ابن الله ويوحنا لم يورد شيئا من القصة أصلا .

رواية متّى:

" ثم أصعد يسوع إلى البرية ليجرب من إبليس . فبعدما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا . فتقدم إليه المجرب وقال له : إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا . فأجاب وقال : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له : إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك ، فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك . قال له يسوع : مكتوب أيضا لا تجرب الرب إلهك . ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها . وقال له : أعطيك هذه جميعا إن خررت وسجدت لي . حينئذ قال يسوع : اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد . ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه "(١) .

---

(١) متى : ١-١١ .

رواية مرقس:

" وللوقت أخرجه الروح إلى البرية. وكان هناك في البرية أربعين يوما يجرب من الشيطان وكان مع الوحوش. وصارت الملائكة تخدمه "[1].

رواية لوقا:

" أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس، وكان يقتاد بالروح في البرية أربعين يوما يجرب من إبليس ولم يأكل شيئا في تلك الأيام. ولما تمت جاع أخيرا. وقال له إبليس: إن كنت ابن الله فقل لهذا الحجر أن يصير خبزا فأجابه يسوع قائلا: مكتوب أن ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان. بل بكل كلمة من الله، ثم أصعده إبليس إلى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان. فقال له إبليس: لك أعطي هذا السلطان كله ومجدهن لأنه إلي قد دفع وأنا أعطيه لمن أريد. فإن سجدت أمامي يكون لك الجميع. فأجابه يسوع وقال: (اذهب يا شيطان) إنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد. ثم جاء به إلى أورشليم وأقامه على جناح الهيكل وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك من هنا إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك وإنهم على أياد لهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك. فأجاب يسوع وقال له: إنه قيل لا تجرب

---

(١) مرقس: ١-١٢.

الرب إلهك. ولما أكمل إبليس كل تجربة فارقه إلى حين "[1].

إن روايتي متّى ولوقا لهذين النصين متقاربتان في الطول والمحتوى. أما في الطول فقد استغرقت رواية متّى الأصحاح الثاني عشر. وأما رواية لوقا فقد استغرقت الأصحاح الثالث عشر. وأما في المحتوى فلم يختلفا إلا قليلا.

ليس هدف البحث هنا مقابلة تامة بين النصين في كل ما يحتويانه، ولكن الهدف هو ذكر الشاهد من النصين للموضوع وهو وصف المسيح من قبل الشيطان أنه ابن الله حيث تكرر ذلك في كل منهما مرتين، وفي كليهما لم يستجب المسيح لطلب الشيطان كما ذكرت الرواية فإذا كان المسيح لم يستجب له حينما طلب السجود له معللا ذلك بأن الله أمر أن يكون السجود له وحده والعبادة له وحده، فما المانع من استجابة المسيح للشيطان في أمرين يتعلقان بإظهار بنوته لله تعالى حسب زعم النصارى لو كان ذلك هو حقيقة أمره؟!

فالشيطان كما زعموا أمره بأمرين ليفعلهما إن كان حقا ابن الله، وهما أن يجعل ذلك الحجر خبزا وأن يلقي نفسه من جناح الهيكل إلى أسفله، فكان جوابه على طلبه الأول: "مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان" وعلى طلبه الثاني: "مكتوب أيضا لا تجرب الرب إلهك".

إن قضية بنوة المسيح لله تعالى في عقيدة النصارى من

---

(١) لوقا: ١-١٣.

القضايا الأساسية، ولو كانت هذه القضية صفة حقيقة للمسيح كما ورد وصفه بها من قبل الشيطان؛ لبادرالمسيح إلى الاستجابة لما طلب منه الشيطان وهو أن يلقي نفسه من جناح الهيكل، أو أن يحول الحجر إلى خبز. فلماذا لم يستجب المسيح له مع أن الاستجابة تثبت حقيقة بنوته لله كما زعموا؟

فالواضح من الروايتين هنا أن المسيح عليه السلام لم يكن يريد أن يثبت للناس بنوته لله تعالى لعدم ثبوتها له في حقيقة الأمر، ولكنه يريد أن يثبت الألوهية الحقة لله تعالى. وهذا ما تضمنته الإجابات الثلاث من النصين المذكورين: "لا تجرب الرب إلهك" و "للرب وحده تسجد وإياه وحده تعبد" "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة من الله".

ولو كان المسيح كما زعم النصارى وزعم الشيطان قبلهم في هذه النصوص ابنا لله تعالى لما رفض المسيح أن يفعل ما يثبت أهم صفة من صفاته وهي البنوة؟!

ويظهر من قراءة هذين النصين وتعاقبهما في الترتيب أن الذي نادى في النص الأول بقوله: "هذا هو ابني الحبيب" هو الشيطان نفسه. وإن ورود الروايتين متعاقبتين في الأناجيل من غير أن يفصل بينهما أمر ذو بال يؤكد هذا الاحتمال والله تعالى أعلم مدى صحة الروايتين، فإن صحتا، فإما أن يكون هذا الاحتمال الذي تقويه الرواية الثانية، أي أن مصدر الصوت في الرواية الأولى هو الشيطان كما كان الشيطان

صاحب القصة الثانية حسب رواية الأناجيل. ويؤكد هذا رواية مرقس التي جاء فيها: "وللوقت أخرجه الروح إلى البرية" وكانت رواية متّى بـ: "ثم" وكلتاهما دلتا على التعقيب. وإما أن يكون معنى الابن غير ما يتبادر إلى أذهان المشركين ممن اعتقدوا البنوة الحقيقية في المسيح عليه السلام كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

إن المسيح عليه السلام عدل في إجابته عن الطلب الذي جاء به الشيطان إلى نفي البنوة بطريقة هي أبلغ من أن يقول: أنا لست ابن الله، حيث أثبت أن الرب إلهه وأنه يسجد له وحده وإياه يعبد، ولو كان الرب أباه حقيقة وهو ابنه فليس الأب معبودا للابن ولا الابن عبدا لأبيه. فتبين أن العلاقة بين الله وبين المسيح علاقة بين العبد والمعبود لا بين الأب والابن كما زعم إبليس ومن قال بقوله، ولهذا كانت الإجابة كما سبق والله أعلم.

النوع الثاني: ادعاء أعدائه عليه أنه وصف نفسه بالبنوة:

روت الأناجيل أن أعداء المسيح عليه السلام من اليهود كانوا يدعون عليه أنه وصف نفسه بصفتين:

إحداهما: تطاول سياسي على السلطة الحاكمة وهي السلطة الرومانية الوثنية الحاكمة حيث وصف نفسه بملك اليهود، وقد ادعوا عليه هذا لإثارة الدولة عليه.

والثانية: فيها تطاول على قدسية الذات الإلهية حيث

وصف نفسه بأنه ابن الله. وفعلوا هذا إثارة لليهود عليه، وإظهارا له بين عامتهم على أنه خارج عن الدين.

فقد روت الأناجيل أن المسيح سئل عن الأمر الأول هل قاله وذلك حينما وجه إليه بيلاطس الحاكم الروماني السؤال قائلا: "أأنت ملك اليهود؟ فأجابه بقوله: أنت تقول. فلما اشتكى عليه رؤساء الكهنة والشيوخ لم يجب بشيء، ولما كرر الوالي السؤال عليه قائلا: أما تسمع كم يشهدون عليك؟ فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة"(١).

وينفرد إنجيل يوحنا الفريد بقوله: "أجابه يسوع: أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني؟ أجابه بيلاطس: ألعلي أنا يهودي؟ أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إلي ماذا فعلت؟ أجاب يسوع: مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا. فقال له بيلاطس: أفأنت إذا ملك؟ أجاب يسوع أنت تقول إني ملك. لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق كل من هو من الحق يسمع صوتي"(٢). ويقول يوحنا في موضع آخر: "الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين. لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد"(٣). ويقول

---

(١) متى: ٢٧: ١١-١٤ومرقس: ١٥: ٢-٥.
(٢) يوحنا: ١٨: ٣٤-٣٧.
(٣) يوحنا: ٣-١٨.

أيضا : " وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله "[١] . ويحكي متى عن بطرس أنه قال للمسيح : " أنت هو المسيح ابن الله الحي "[٢] . ويحكي لوقا أن الملك قال لمريم : " الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعي ابن الله "[٣] .

يظهر من هذه الروايات أن المسيح عليه السلام ادعي عليه هذا القول أو أطلق عليه من غيره، أو اتهمه الأعداء بأنه قال انه ملك اليهود . وهذه وشاية من رؤساء اليهود وشيوخهم ليتخلصوا من دعوته وسلطته الدينية المتصاعدة في أوساطهم، ولكنه لم يعترف بذلك للحاكم الروماني الذي أكد له أن التهمة وجهت له من بني جلدته من رؤساء الكهنة . ويروي لوقا أن مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة أصعدوه إلى مجمعهم فسألوه قائلين : " إن كنت أنت المسيح فقل لنا . فقال لهم إن قلت لكم لا تصدقون وإن سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني . منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسا عن يمين قوة الله . فقال الجميع أفأنت ابن الله؟ فقال لهم : أنتم تقولون إني أنا هو فقالوا ما حاجتنا بعد إلى شهادة لأننا نحن سمعنا من فمه "[٤] .

ومع عدم الاعتراف بما نسبوا إليه وإفادته إياهم أن ذلك

---

(١) يوحنا : ٢٠-٣١.
(٢) متى : ١٦-١٦ .
(٣) لوقا : ١-٣٥.
(٤) لوقا ٢٢ : ٦٧-٧١.

هو ما تقوله ألسنتهم وأفواههم الكاذبة فإنهم استمروا على نسبة ذلك إليه، فقد روت النصارى أيضا نسبة هذا القول من أعدائه اليهود والشياطين.

النوع الثالث: ما روي في وصف المسيح نفسه بالبنوة:

لم يرد في الأناجيل الأربعة نص صريح عن المسيح ادعى فيه أنه ابن الله. ولكن الذي نسب إليه مما يقرب من ذلك هو وصف المسيح نفسه بكلمة (الابن) من غير إضافة، وذكره أيضا أن الرب أبوه حيث يرد كثيرا أنه يقول: "أبي".

ومثال وصفه نفسه بكلمة الابن ما جاء في قوله: "وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له"[1].

لقد تكررت كلمة الابن في هذا النص ثلاث مرات، وأن الذي قالها هو المسيح حسب رواية هذا الإنجيل فما مقصوده بهذه الكلمة؟ أيريد بها البنوة الخاصة التي تقابلها الأبوة الخاصة؟ أم البنوة التي وصف المسيح بها المؤمنين الصالحين في نصوص كثيرة من الأناجيل؟ هذا ما سوف يأتي الكلام فيه قريبا إن شاء الله.

ولا يوجد في الأناجيل التصريح من المسيح بأنه ابن الله تعالى. ولكن وصفه نفسه حسب الرواية بكلمة الابن ينبغي أن ينظر في لفظها ومعناها. أما لفظها فبأن يقال: ما الكلمة التي وردت في الأصل قبل الترجمة؟ هل هي كلمة لا تحتمل

---

(١) متى: ١١-٢٧.

معنى آخر غير البنوة، أو هي محتملة لمعنى آخر؟ الاحتمال قوي، وما تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال. فاحتمال هذه الكلمة لمعنى الفتى أو الغلام قائم. فقد ورد في إنجيل متّى ما يؤيد ذلك حيث قال: "لكي يتم ما قيل بأشعياء النبي القائل: هو ذا فتاي الذي اخترته حبيبي الذي سرت به نفسي"(١).

وروى إنجيل يوحنا أن المسيح قال: "الحق الحق أقول لكم: إن الابن لا يقدر أن يفعل شيئا من تلقاء نفسه... فكل ما يعمله الآب يعمله الابن كذلك. لأن الآب يحب الابن... ومن لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله"(٢).

جاء في إنجيل مرقس أن المسيح عليه السلام قال في العلم بموعد قيام الساعة: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب"(٣).

ففي النص الأول يصف المسيح نفسه بالابن. والنص الثاني نسب إلى المسيح أنه وصف نفسه بالابن أيضا. ورواية إنجيل متّى تخالف هذه الرواية في اللفظ وإن كانت في المضمون توافقها إذ جاء فيها قول الكاتب: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده"(٤). فأيهما قال والقصة واحدة؟

---

(١) متى: ١٢: ١٧-١٨.
(٢) يوحنا: ٥: ١٩-٢٣.
(٣) مرقس: ١٣-٣٢.
(٤) متى: ٢٤-٣٦.

المطلب الثالث: وصف الشياطين عيسى بالبنوة:

لقد سبق بيان أن ما جاء من النصوص في الأناجيل من وصف المسيح بأنه ابن الله أكثر ما وقع من غيره وأول من نطق بهذه الكلمة هو إبليس حسب روايات الأناجيل كما سبق إيراد ذلك.

ولتأكيد ذلك نورد نصوصا أخرى كانت الشياطين فيها خاطبت المسيح بصفة البنوة لله تعالى. فمن ذلك ما نسبه إنجيل متّى ولوقا إلى مجنونين نطق الروح النجس على لسانيهما قائلا: "ما لنا ولك يا يسوع ابن الله"[1]. ومن ذلك أيضا ما جاء في إنجيل مرقس حيث حكى عن رجل به روح نجس قائلاً: "وصرخ بصوت عظيم مالي ولك يا يسوع ابن الله العلي"[2]. ومن ذلك أيضا ما جاء في إنجيل لوقا حيث قال: "وكانت شياطين أيضا تخرج من كثيرين وهي تصرخ وتقول أنت المسيح ابن الله. فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح"[3].

وقد تجلى في هذه الروايات أن الشياطين كانت تصفه بهذه الصفة، والشياطين لا يجوز تصديقها، فإنها تتنزل بالكفر والضلال. ولهذا تجد في النص الأخير أن المسيح انتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم يقولون قولا باطلا، وهو وصفهم إياه بأنه ابن الله لا لمعرفتهم أنه المسيح كما زعم

(١) متى: ٨: ٣٠ ولوقا: ٤: ٣٤.
(٢) مرقس: ٥: ٧.
(٣) لوقا: ٨: ٢٨.

الراوي، لأن كونه هو المسيح حق مطلوب أن يعترف به ويعلن بين الناس، ولا يمنع من إعلان ذلك إنسان أو شيطان. فلما جمعت الشياطين في وصفه بين الحق والباطل منعهم من الكلام درءا للمفاسد. ومما علم من دين الله تعالى أن كلمة الحق إذا احتمل أن تستغل في الباطل ينهى عنها. فقد نهى الله تعالى أهل الإيمان من أن يسبوا آلهة الكفار حتى لا يؤدي ذلك إلى سبهم لرب العزة تبارك وتعالى حيث قال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ونهى المؤمنين عن مخاطبة النبي ﷺ بقولهم: ﴿راعنا﴾ التي يقصدون بها الانتظار والتمهل والمراعاة حتى لا يستغل ذلك اليهود في سب رسوله ﷺ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

المطلب الرابع: المسيح بين مراده بصفة البنوة:

روى إنجيل يوحنا أن المسيح عليه السلام قال لليهود حينما أرادوا رجمه بالحجارة: " أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي بسبب أي عمل منها ترجمونني؟ أجابه اليهود قائلين: لسنا نرجمك من أجل عمل حسن، بل من أجل تجديف. فأنت وأنت إنسان تجعل نفسك إلها؟ أجابهم يسوع: أليس مكتوبا في ناموسكم: أني قلت إنكم آلهة؟ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن ينقض المكتوب. فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم

أتقولون إنك تجدف لأني قلت إني ابن الله؟ "[1].

وهذه الرواية انفرد بها هذا الإنجيل الذي ما ألف إلا لغرض إثبات ألوهية المسيح، ويظهر في هذه الرواية أيضا ذلك الغرض. أما الأناجيل الأخرى فتورد هذه القصة على نحو مخالف لهذه الرواية. يقول كاتب إنجيل لوقا إنه حينما سئل عن كونه ابن الله قال للسائلين: " أنتم تقولون إني أنا هو "[2].

وفي إنجيل متّى جاء أن المسيح حينما سأله رئيس الكهنة عما نسب إليه من قوله إنه ابن الله قال له: " أنت قلت "[3] أي إن هذا ادعاء نسب إلي من قبلكم أنتم أيها السائلون، ولم يصدر منّي ذلك. وعلى رواية يوحنا الصريحة في نسبة القول إليه خلافا لبقية الأناجيل ورد على لسانه تفسير معنى البنوة فإنها كتلك التي قيلت لمن أوحي إليهم من الأنبياء وصارت إليهم كلمة الله. وليس في هذه الصفة ما يميزني عن سائر من صارت إليهم كلمة الله. وبعد هذا البيان والإيضاح لا يبقى متمسك لأهل الباطل إلا اتباع الأهواء، وتقليد الشيوخ والآباء، وما يتمسكون به من نصوص الأناجيل أوهى من بيت العنكبوت، وكفر بذي العزة والجبروت، والحي القيوم الذي لم يلد ولم يولد ولا يزول ولا يموت.

---

(١) يوحنا: ١٠: ٣٢-٣٦.
(٢) لوقا: ٢٢-٧٠.
(٣) متى: ٢٦: ٦٤.

المطلب الخامس: معنى البنوة الواردة في وصف المسيح:

البنوة في وضعها اللغوي تقابل الأبوة، فإذا قيل فلان ابن فلان علم منه أنه ولده الذي ولد منه، وإذا كان المراد بذلك البنوة المكتسبة قيل ابنه من الرضاعة أو ابنه بالتبني بغض الطرف عن عدم جوازه شرعا.

فقد وردت في الأناجيل الأربعة كلمة: "الابن" في حق المسيح عليه السلام، أطلقت عليه إما من قبل الشيطان كما في قصة تجربة إبليس له حسب روايتهم، أو من قبل أعدائه من البشر كاليهود والحاكم الروماني الذي أوغر اليهود صدره عليه. أو من قبل المسيح نفسه من غير أن يتجاوز في كلامه كلمة: "الابن" مقطوعة عن الإضافة كما سبق.

فهنا يجب النظر في هذه الكلمات من عدة جوانب على فرض ثبوت هذه النصوص:

الجانب الأول: الجانب النصي أي تحديد اللفظ الوارد في النص الأصلي.

الجانب الثاني: هو الجانب اللغوي، أي دلالة هذه الكلمات لغة على المعنى الذي ذهب إلى الأخذ به النصارى.

الجانب الثالث: هو الجانب العرفي العام في المجتمع الذي استخدمها في الزمن الأول.

الجانب الرابع: هو الجانب الشرعي الذي تعرض عليه النصوص المجملة لبيانها، والعامة

لتخصيصها، والمخالفة لردها وإثبات
خلافها، وإليك بيانها فيما يأتي:

الجانب النصي:

إن معرفة النص الوارد في الأصل وتحديد لفظه غير مقدور عليه في نصوص الأناجيل لضياع أصولها، وما أحاط بها من الجهالة. فالنص الذي لا يعرف أصله لا يمكن التعامل معه إلا تحت القواعد والثوابت الشرعية.

وحيث إن القواعد الشرعية الثابتة في الشرائع المنزلة تنفي نفيا قاطعا أن يكون لله تعالى ولد، فإن المعنى الذي فسر به النصارى كلمة الابن غير مقبول، بل هو مردود ترده شرائع الله المنزلة.

الجانب اللغوي:

إن الجانب اللغوي لهذه الكلمة حسب ورودها في هذه النصوص مع الجهالة بأصلها يفيدنا معنيين:

المعنى الأول: أن تطلق كلمة الابن ويراد بها المعنى الحقيقي للبنوة، وذلك لا يكون إلا بين المخلوقات التي يلد بعضها بعضا أو يولد بعضها من بعض فالله منزه عن هذا المعنى.

المعنى الثاني: أن تطلق البنوة ويراد بها المعنى الوظيفي أي يقصد بالابن من يقوم في عمله وإخلاصه وقربه من مخدومه، واهتمامه بشؤونه

وإخلاصه له مقام الابن الحقيقي. وقد يراد بالابن في حق المسيح هذا المعنى أي الذي يخلص لربه في كل شيء كما يخلص الابن لأبيه والله أعلم.

وقد يكون هناك خطأ في فهم النص من المترجم حيث كان النص الأصلي محتملا لمعنيين أحدهما موافق للشرع والآخر مخالف له. مثل كلمات الفتى والغلام والجارية، فإنها تحتمل معنيين:

فكلمة الفتى يحتمل أن تكون بمعنى الخادم، وبمعنى العبد كما وصف تعالى يوشع ابن نون عليه السلام بفتى موسى عليه السلام يعني بذلك خادمه لا عبده. وكذلك فتيان يوسف عليه السلام خدمه. وهذا كله إذا أضيفت إلى المخدوم أو السيد. وإلا فمعنى الفتى والفتوة أوسع دائرة مما ذكرت.

وكلمة الغلام كذلك قد تأتي بمعنى الخادم، أو بمعنى العبد، وهي في الأصل تعني الشاب الطَّارُّ[1] الذي لم يبلغ سن البلوغ. ومن هذا المعنى الغلامان اليتيمان في سورة الكهف.

وكلمة الجارية كذلك تطلق ويراد بها الفتية من النساء، وقد يراد بها الأمة لأن كلا منهما تجري على خدمة أهلها وسادتها.

وربما كانت كلمة (الابن) أطلقت في أصلها مثل هذا

---

(١) الشاب الطار: هو الذي نبت شاربه. وفي لسان العرب: طَرَّ النبت والشارب طَرّاً وطُروراً: طلع ونبت... ومنه: طر شارب الغلام فهو طارٌّ.

الإطلاق فجاء المترجم وفسرها بالبنوة الحقيقية إما أخذا بأحد معانيها اللغوية والعرفية، أو قصدا لإثبات عقيدة اختمرت في ذهنه وخيـــاله المريض، أو جـهـلا بمرامي العـقـيـدة ومقاصدها. فانظر إلى النص الذي سبق إيراده من إنجيل متّى حيث قال فيه: "فتاي الذي اخترته" فمن الممكن أن يفسره أو يترجمه مغرض أو جاهل بـ" ابني الذي اخترته". إن علاج هذا وأمثاله يكون بعرضها على النصوص الشرعية وقواعدها الثابتة، وإن النصارى لم يفعلوا في سبيل ذلك إلا محاربة من اعترض عليهم بمنطق الشرائع الإلهية والبدهيات العقلية. اللهم فاكشف عنهم هذا الغطاء يا ذا المن والعطاء، فإنهم قد أضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل.

الجانب العرفي:

المراد بالجانب العرفي ما تعارف عليه مجتمع من المجتمعات من المعاني التي لا يدل عليها الوضع اللغوي، غير أن لها مقاصد حسنة لا تخرجها من المحيط الشرعي. مثال ذلك كلمة: (ابن السبيل) لمن يلازم السفر ويداومه، ولا يقصد به الوضع اللغوي بحيث يفسر بالمعنى الحقيقي لكلمة الابن، لأن السبيل لا تلد إنسانا. وكذلك كلمة أهل فلان تدل في أصلها اللغوي وتطلق على من ينتسب إلى الرجل من أزواج وأولاد، وتطلق على أهل الصلاح والتقوى من الناس فيقال إن فلان من أهل الله، ويقصد

بذلك الصلاح والتقوى، لا الانتساب إلى الله تعالى انتساب الأهل إلى أبيهم. وحينما يقال: فلان من أهل الله تبادر إلى الذهن المعنى العرفي لا المعنى اللغوي ولو قام جاهل بالمقاصد العرفية، وترجم هذه الكلمة: (أهل الله) إلى لغة أخرى كالإنجليزية لقال:

Allah Family, ولا يخفى ما تؤدي إليه هذه الترجمة من الفساد والإفساد. ولعل النصارى أتوا من هذا الجانب أيضا حتى أخذوا بالمعاني الباطلة المفسدة للدين.

الجانب الشرعي:

إن دلالة الألفاظ على ما وضعت له في أصل اللغة، هو الأساس الذي تبنى عليه المعاني الشرعية. فالدين لا يلغي المعاني اللغوية ولكنه يبني عليها ويضيف إلى معناها اللغوي المعنى الشرعي فيصبغها بذلك بالصبغة الشرعية. فالصلاة في الوضع اللغوي الدعاء. فمنه قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] وفي الشرع: "أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم" أي إنها دعاء من نوع خاص بصفة خاصة، ولم تخرج من كونها دعاءا لتضمنها دعاء عبادة ودعاء مسألة.

ولو قام امرؤ درس اللغة العربية مفرداتها وجملها، بعيدا عن مقاصد الشرع ومصطلحاته بتفسير الخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ

﴿الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] لم يفهم منها إلا خيطين حسيين أحدهما أبيض والآخر أسود، فيستمر في تناول الطعام والشراب حتى يتميز لون أحدهما عن الآخر بضوء الفجر. وفي هذا من البعد عن مقاصد الشرع ومصطلحاته ما لا يخفى. وهذا الذي فهمه الصحابي عدي بن حاتم رضي الله عنه عند نزول هذه الآية وعمله، فلما أخبر بذلك رسول الله ﷺ قال له: "إن وسادك إذا لعريض، إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل"[١].

المطلب السادس: الصالحون يكتسبون البنوة:

روت الأناجيل كما سبق عدم خصوصية صفة البنوة بالمسيح عليه السلام، بل كل من آمن وعمل صالحا واستقام على الهدى من بني آدم يدعون أبناء الله. فمن تلك الروايات:

ما جاء في إنجيل متّى حيث قال كاتبه: "طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون"[٢].

فمن الواضح من هذا النص أن صانعي السلام يدعون بهذه الصفة، وهذه الصفة ليست صفة ملازمة لهم منذ الولادة ولكنها صفة اكتسبوها بصنعهم السلام.

وفي هذا المعنى أيضا ما جاء حكاية عن المسيح في إنجيل

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: (كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر...) ومسلم في كتاب الصيام باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر وأن الأكل وغيره حتى يطلع الفجر.

(٢) متّى ٥: ٩.

متّى حيث قال: "احبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات "[1].

وجاء في إنجيل لوقا قول صاحبه حكاية عن المسيح: "بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا، وأنتم لا ترجون شيئا ويكون أجركم عظيما وتكونوا أبناء العلي "[2].

وهذان النصان أيضا يدلان على أن أهل الإيمان والصلاح يكتسبون هذه الصفة إن عملوا بما أمرهم به المسيح عليه السلام، من حب أعدائهم والإحسان إلى مبغضيهم وإقراض المحتاجين، والدعاء للذين يسيئون إليهم ويطردونهم ويكونون عند ذلك أبناء العلي.

ومثل هذا ورد في العهد القديم مما لا ينكره اليهود ولا النصارى. ففي سفر التكوين جاء قول كاتبه: "وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات. أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم من كل ما اختاروا... كان في الأرض طغاة في تلك الأيام. وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا. هؤلاء هم الجبابرة منذ الدهر ذوو إسم "[3].

قال في السنن القويم في معنى هذا النص: "أبناء الله:

(١) متّى: ٥: ٤٤-٤٥.
(٢) لوقا ٦: ٣٥.
(٣) تكوين ٦: ١-٤.

وفي العبرانية "بنو إلوهيم" وترجمت بثلاثة معان:

الأول: وهو ما في التفاسير اليهودية- الشرفاء وأرباب الرتب العالية.

والثاني: الملائكة، ويعضد هذا ما جاء في رسالتي يهوذا وبطرس (يه٦ وبط٤ : ٢) ولكن ذلك مع هذا غير محقق وبعيد عن التصديق، لأن الملائكة لا يتزوجون.

والثالث: وهو الذي عليه الجمهور إنهم أبناء شيث، وأنهم تزوجوا من تزوجوا لمجرد الشهوة، ففسد النسل. وإن "بنات الناس" بنات قايين[1]. ولكن لم يبينوا كيف كان مواليد هؤلاء جبابرة. وقال مفسروا اليهود والعارفون بأسرار اللغة العبرية: إنه لا يراد بـ"أبناء إلوهيم" (على ما في الأصل العبراني) الصالحون أو الأتقياء فإن معنى إلوهيم[2] الأقوياء وهذا المعنى لا ينفك عن هذه اللفظة"[3].

وجاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: "ليس من المحتمل أن يكون أبناء الله هم الملائكة، لأن الملائكة لا يتزوجون ولا يلدون... ويعتقد بعض العلماء أن هذه ا لعبارة تشير إلى أبناء شيث وهم شعب الرب... ولكنهم لم يعودوا أتقياء. وعليه فهذه الأعداد تحدثنا عن الزواج

---

(١) قايين: قابيل.

(٢) إلوهيم جمع مفردها: إلوه. والياء والميم علامة الجمع في العبرية. إلوه بمعنى إله وإلوهيم بمعنى آلهة. وتأتي إلوة بمعنى: قوي وإلوهيم بمعنى: أقوياء.

(٣) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم جـ١ ص٧٣-٧٤، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت ١٩٧٣م.

المختلط بين نسل شيث الأتقياء، ونسل قايين الأشرار. ولا بد أن هذا الزواج أضعف النسل النقي وزاد من الفساد الأدبي في العالم "[1].

وعلى أحد هذه التفاسير الثلاثة لكلمة "أبناء الله" في النص فإن المراد بها المؤمنون الصالحون، ولأجل ذلك تمت ترجمة لفظة "إلوهيم" بلفظ الجلالة في العهد القديم. غير أن مترجم التوراة السامرية من اللغة العبرية إلى اللغة العربية أبا الحسن إسحاق الصوري السامري ترجم الكلمة في الموضعين بالسلاطين[2]. وهو يتفق مع أحد التفسيرات الثلاثة.

والشاهد هنا أن من بني آدم من يطلق عليهم هذا الوصف المكتسب لصلاحهم وتقواهم. كما يطلق على أهل الزيغ الضلال وصف أبناء الشيطان أو إخوان الشياطين.

فإذا كان المؤمنون الصالحون يكتسبون هذه الصفة بالإيمان والصلاح لأن ذلك من الله تعالى الذي أمر وشرع، فإن الذين اتبعوا خطوات الشيطان جدير بأن يوصفوا بإخوان الشياطين وأبناء الشياطين.

ولهذا روي عن المسيح عليه السلام أنه قال لليهود: "أنتم من أب هو إبليس" وعلل ذلك بقوله: "وشهوات أبيكم تريدون أن تفعلوا "[1] وبهذا وغيره من نصوص الأناجيل

---

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص ٢٣.

(٢) التوراة السامرية تكوين١ : ٦-٤، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ مطبعة دار البيان بعابدين بالقاهرة.

يتضح أن بنوة المسيح وغيره من البشر بنوة مكتسبة سببها الإيمان الصلاح والتقوى وليس غير ذلك. إن صح ورودها عن المسيح عليه السلام وغيره من أهل العلم والإيمان، أما إن وردت من الجهال من عوام، فلا حاجة إلى تأويل كلامهم وتفسيره، وإنما حقه أن يرد ويضرب به عرض الحائط. لأن البدع في الدين ترد عند أهل الإيمان والعلم، ويرد عمل صاحبها عند الله تعالى.

وقد تستعمل بعض الألفاظ في بعض الشعوب في غير المعنى الذي اشتهر وانتشر استعمالها في، ولكن تعارف ذلك المجتمع على استعمالها في ذلك المعنى هو الذي يمنع أن يفهم خلاف ما يقصدون فكلمة الابن والأب قد تستعمل كما سبق في غير المعنى الذي اشتهرتا فيه. كابن السبيل الذي يقصد به الملازم للسفر كما يلزم الابن أباه. وبمثل هذا فسر بعض العلماء ما روي من أن ولد زنية لا يدخل الجنة [١]. أي الزاني الملازم للزنا وليس المراد به عندهم المولود من الزنا.

ومن الألفاظ التي استعيرت في غير المعنى الذي اشتهر

---

(١) يوحنا: ٨-٣٦.

(٢) وهو حديث لا يصح وقد ذهب ابن الجوزي إلى القول بوضعه انظر المقاصد الحسنة، وكشف الخفاء، وأسنى المطالب، وتمييز الطيب، والضعيفة للألباني رقم ١٢٨٧.

وردت في الأحاديث النبوية نصوص فيها وعيد شديد لمرتكب ذنب من الذنوب بأنه لا يدخل الجنة كشارب الخمر وقاطع الرحم وقاتل نفسه، ويحمل ذلك على أنه لا يدخل دخولاً أولياً، أو أنه الذي استباح ذلك. وإلا فإن صاحب الكبيرة الذي لم يتب تحت مشيئة الله تعالى خلافاً للمعتزلة والخوارج.

استعمالها فيه ، كلمة خراف التي وردت في الأناجيل مراداً بها بنو إسرائيل حيث نسبوا إلى المسيح أنه قال للمرأة الأممية : "لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة "(١) كما وردت هذه اللفظة مراداً بها تلاميذ المسيح عليه السلام حسب الرواية حيث قال لهم : "حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكون في هذه الليلة ، لأنه مكتوب إني أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية "(٢) .

وإطلاق كلمة الخراف على بني إسرائيل تارة ، وعلى تلاميذ المسيح أخرى استعمال لها في غير ما اشتهر استعمالها فيه ، ولا يمكن أن يقال إن بني إسرائيل عامة وتلاميذه خاصة هم خراف البهائم .

ثم إن الترجمة لها أثر كبير في تحريف الكلم عن مواضعه ، إما لعدم قدرة استيعاب اللغة المترجم إليها مرامي اللغة الأصلية ومعانيها ، أو لعلة عائدة إلى المترجم حيث يكون غير متمكن من اللغتين ، أو إحداهما ، أوله قصد وهدف يريد تحقيقه من خلال تحريفه للترجمة . وهذه كلها محتملة الوقوع احتمالاً قوياً ، حيث إن الجو الذي وضعت فيه هذه الأناجيل يسمح لهذه الاحتمالات كلها . وهناك أمر آخر يضاف إلى ما ذكر ، وهو ما تعرض له أصحاب المسيح الصادقون عقب رفعه من مطاردة وظلم واضطهاد عظيم

---

(١) متى : ١٥-٢٤ .

(٢) متى : ٢٦-٣١ ,

وكيد يحاك من قبل اليهود ليلاً ونهاراً لطمس معالم الهدى التي جاء بها المسيح عليه السلام حيث دفعوا إلى ساحة الحرب الخفية رجلاً في غاية المكر والخداع ليقوم بما عجزت عنه السلطة الرومانية في ساحة الحرب العلنية. وهو بولس.

المطلب السابع: إطلاق الأناجيل كلمة الأب على الله تعالى:

أطلقت الأناجيل الأربعة على الله تعالى كلمة الأب على لسان المسيح عليه السلام، وذلك على ثلاث صور:

الصورة الأولى: إضافة كلمة الأب إلى ياء المتكلم والمتكلم هو المسيح عليه السلام: "أبتاه"[(١)].

الصورة الثانية: إضافة كلمة أب إلى المفرد المخاطب، أو إلى جماعة المخاطبين أو ضمير الجماعة المتكلمين: "أبوك"[(٢)] و"أبوكم"[(٣)] و"أبونا"[(٤)]. وتنسب نصوصها إلى المسيح عليه السلام على أنه هو قائلها أو هو الآمر بقول بعضها.

الصورة الثالثة: قطع كلمة الأب عن الإضافة وتعريفها بأل: "الآب"[(١)]. فالمقصود بالأب في هذه الصور الثلاث هو الرب تبارك وتعالى، كما

---

(١) متى ٢٦: ٣٩-٤٢، ولوقا ٢٢: ٤٢ و٢٣: ٣٤ و٢٣: ٤٦.
(٢) متى ٦: ٣-٦ و٦: ١٧-١٨.
(٣) متى ٦: ١ و٥: ٤٨ و٦: ١٤-١٥ و٦: ٢٦ و٦: ٣١-٣٢.
(٤) متّى ٦: ٩-١٠.

كان المقصود بالابن فيما سبق قبل هذا هو المسيح عليه السلام حسب رواياتهم وتفاسيرهم.

ففي الصورة الأولى يعتقدون أن المراد بالأبوة الأبوة الحقيقية، فالرب هو الأب، والمسيح الذي هو الضمير المضاف إليه، هو الابن الذي ولد من أبيه منذ الأزل ثم تجسد في بطن مريم فولد بعد أن اتحد لاهوته بناسوته، أي بعد أن امتزج في جسده الجانب الإلهي، والجانب الإنساني.

وأما في الصورة الثانية أي صورة إضافة الأب إلى ضمير الخطاب مفردا كان أو جماعة، وإضافته إلى ضمير الجماعة المتكلمين، فإنهم يفسرون ذلك بالأبوة العامة المجازية وليست حقيقة، ويفسرون البنوة المقابلة لها بالبنوة المكتسبة، فالمؤمنون أبناؤه بالتبني، والرب أبوهم كذلك، وليست بنوة التبني المكتسبة بالأيمان كالبنوة الحقيقية في حق المسيح.

وأما الصورة الثالثة فهي على حسب سياق الكلام، فإن كان الكلام محتملا في سياقه أن تكون الأبوة أبوة خاصة، فإنها تحمل عليه، وإن كان السياق يدل على الأبوة العامة حملت عليه.

إن النصوص التي ورد فيها وصفه تعالى بالأبوة العامة أكثر من التي وردت في الأبوة الخاصة بكثير حسب زعمهم وإن كنا لا نوافقهم على ما زعموا من أبوة خاصة وبنوة

---

(١) متّى ٢٨ : ١٩، ويوحنا ١٧ : ٢٤-٢٥.

خاصة، لأن ذلك تخصيص بلا دليل مخصص وترجيح بلا مرجح، وتفريق بين الأدلة المتماثلة بلا مسوغ. فإذا كان الأكثر ورودا قد حمل على البنوة الإيمانية المكتسبة فليكن كذلك الأقل ورودا محمولا على الأبوة المجازية والبنوة المكتسبة.

المطلب الثامن: صيغ وصف الله تعالى بالأبوة في الأناجيل:

جاءت في الأناجيل نصوص أطلقت على الله تعالى صفة الأبوة بصيغ مختلفة منها ما هو خاص بالمسيح ومنها ما هو عام.

(أ) صيغ الإضافة:

١ - أبي، أبتاه. ٢ - أبوك. ٣ - أبوكم. ٤ - أبونا.

(ب) صيغة التعريف بأل: "الأب".

(جـ) صيغة التنكير: "أب".

صيغ الإضافة:

أولاً: الإضافة إلى ضمير المتكلم:

وردت في الأناجيل نصوص وردت فيها كلمة أب مضافة إلى ياء المتكلم، والمتكلم حسب الروايات هو المسيح عليه السلام. والأب في جميع الصيغ أرادوا به الله تعالى. غير أنهم عندما يفسرون كلمة أبي يفسرونها تفسيرا حرفيا أي يقولون بالأبوة الحقيقية في حقه تعالى كما قالوا بالبنوة الحقيقية في حق المسيح عليه السلام.

فإذا فسرت البنوة فيما مضى بالبنوة الحقيقية في حق المسيح عليه السلام بمعنى أنه ابنه تعالى على وجه الحقيقة فالأبوة كذلك، فإنهما متلازمان، لأن معنى أحدهما يوضح معنى الآخر.

ولقد فسر المسيح عليه السلام معنى البنوة حسب رواياتهم حيث قال لليهود عند اعتراضهم على هذه الكلمة: "ابن الله": "أليس مكتوباً في ناموسكم إني قلت إنكم آلهة؟ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ولا يمكن أن ينقض المكتوب. فالذي قدسه الأب وأرسله إلى العالم أتقولون إنك تجدف لأني قلت: إني ابن الله"[1].

معنى هذا الكلام أن من صارت إليهم كلمة الله وهي الوحي يصح أن يقال له ابن الله بمعنى المنقطع إلى الله تعالى بتبليغ رسالته إلى الناس كما ينقطع الابن البار إلى خدمة أبيه، وهو أيضا يحظى برضا ربه ورحمته وعنايته كما يحظى الابن البار بعناية أبيه ورضاه. وهو عليه السلام إن صح عنه أنه وصف نفسه بأنه ابن الله فلا يقصد بذلك معنى أكثر من الذي قصده السابقون له ممن صارت إليهم كلمة الله كما صارت إليه.

وبهذا يتضح المراد بالأبوة أيضا إن صح ورودها عن المسيح عليه السلام. غير أن الأليق بالأنبياء والأجدر بهم

(١) يوحنا: ١٠: ٣٢-٣٦.

والأشبه بأحوالهم وأقوالهم وأفعالهم أنهم لا يستخدمون الكلمات الموهمة المحتملة. ولذلك ما بعث الله من رسول إلا بلسان قومه. وسبب ذلك راجع إلى أنهم يقومون ببيان وحي الله إليهم خير بيان، ولذلك وصف بلاغهم بالبلاغ المبين والرسول بأنه رسول مبين، والكتاب المنزل بأنه كتاب مبين. ولذلك كان من صفة الرسل الفطنة والفصاحة. وهذا سر طلب موسى عليه السلام أن يزيل ما بلسانه من عقدة، وطلبه أن يعضده بأخيه هارون لأنه أفصح منه لسانا. وعليه فأن المسيح لم يستخدم هذه العبارات الموهمة التي أحدثت شرخا في جدار التوحيد.

ثانياً: الإضافة إلى ضمير المخاطب:

نسبت الأناجيل إلى المسيح عليه السلام أنه يقول: "وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك لكي تكون صدقتك في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء وهو يجازيك علانية... وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية"[1].

وقال: "وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائما بل لأبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية"[1].

---

(١) متّى: ٦: ٣-٦.

هذه النصوص قائلها حسب روايات الأناجيل هو المسيح عليه السلام، والمخاطبون هم تلاميذه الذين يعلمهم المسيح عليه السلام، ولئن كان الخطاب في صورته خطاباً للمفرد، ولكنه خطاب لكل فرد من أفراد تلاميذه، وهو يتفنن في صيغ المخاطبة، يفرد تارة ويجمع أخرى. وفي تلك الأحوال كلها لم يكن مراده بالأبوة المعنى المتبادر إلى الذهن من كلمة الأب، وهي الأبوة بالولادة، ولكنه يريد الصلاح والتقوى والانقطاع إلى الله تعالى بالإيمان والعمل الصالح فكل من استجاب له والتزم بشرعه، كان من خواص عباده.

ثالثاً: الإضافة إلى ضمير المفرد أو الجماعة المخاطبين:

ونسب إليه أيضا أنه قال لعامتهم: "احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي لا ينظروكم وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات"[٢].

وقال أيضاً: "فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات كامل"[٣].

وقال: "فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي. وإن لم تغفروا للناس لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم"[١].

---

(١) متّى: ٦: ١٧-١٨.
(٢) متّى: ٦: ١.
(٣) متّى: ٥: ٤٨.

وقال: " فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة. فكم بالحري أبوكم الذي في السماوات يهب خيرات للذين يسألونه "(٢).

وقال: " انظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن. وأبوكم السماوي يقوتها "(٣).

وقال: " فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل وماذا نشرب وماذا نلبس فإن هذه كلها تطلبها الأمم لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها "(٤).

رابعاً: الإضافة إلى ضمير المفرد أو الجماعة المتكلمين:

ونسبوا إليه أنه علمهم الصلاة قائلا: " فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض "(٥).

وهذا النص ورد في أكثر من موضع. وما قيل في النصوص المماثلة له في معنى الأبوة يقال فيه أيضا ويقال ذلك في البنوة أيضا في جميع النصوص بصيغها المختلفة التي وردت بها في الأناجيل من غير تفريق بينما ورد منها في حق المسيح عليه السلام، وبين ما ورد في غيره من سائر

---

(١) متّى ٦: ١٤-١٥.
(٢) متّى ١١-٧.
(٣) متّى ٦: ٢٦.
(٤) متّى ٦: ٣١-٣٢.
(٥) متّى ٦: ٩-١٠.

المؤمنين. ومن قال بالفرق فعليه بالبرهان الجلي.

ومما جاء مضافا إلى ضمير المتكلم منسوبا إلى المسيح عليه السلام قوله: "ثم تقدم وخر على وجهه وكان يصلي قائلا: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس... فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا: يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك"[1].

وقوله أيضا فيما ينسب إليه: "يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك"[2].

وقوله أيضا فيما يحكى عنه: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون"[3].

وقوله فيما يروى عنه أيضا: "ونادى يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبتاه في يديك أستودع روحي"[4].

هذه النصوص نسبت إلى المسيح عليه السلام أنه خاطب ربه في صلاته ودعائه بهذا الخطاب ليلة القبض عليه حسب زعمهم. أما النص الأول والثاني فقد حكيا صلاته ودعاءه في تلك الليلة قبل أن يتم القبض عليه. وأما الثالث فقد زعموا أنه قاله بعد القبض عليه في الموضع الذي زعموا أنه صلب فيه. وأما الأخير فكما يظهر من سياقه فقد ذكروا أنه

---

(١) متّى ٢٦: ٣٩-٤٢.

(٢) لوقا ٢٢: ٤٢.

(٣) لوقا ٢٣: ٣٤.

(٤) لوقا ٢٣: ٤٦.

قاله عند خروج الروح.

وقفة تأمل:

لقد أجمع النصارى على أن المسيح إله حق من إله حق، وانه جاء وتأنس من مريم أي أخذ الخصائص الإنسية في بطن مريم وعاش بين الناس تلك الفترة الزمنية بعد أن اتحد اللاهوت بالناسوت. فعل ذلك كله ليكفر عن الخطيئة الأولى التي سرت في دماء البشر منتقلة إليهم من أبيهم آدم عليه السلام ليقتل ويصلب حتى تمحى تلك الخطيئة، وهذه هي مهمته في زعمهم وهذا هو الذي تم.

إذا كان الأمر كذلك فلم هذا الخوف الشديد والاضطراب الشديد، والصراخ الشديد، والتضرع في الصلاة حتى لا يتحقق هذا الأمر الذي جاء من أجل تحقيقه؟ أهو ندم على تلك الخطة المرسومة في السماء وتراجع عنها؟ أم إنه لم يكن يعلم بتلك الخطة التي دفعه إليها الآب من غير علم سابق فلما فوجئ بها خاف واضطرب فأخذ يتضرع إلى الآب لينقذه مما وقع فيه؟ ثم إنهم ما داموا يزعمون أن المسيح إله قدير، فلم يدعو الآب ويتضرع إليه بتلك الصورة وهو الإله القدير المحيي والمميت؟.

ثم أين النص الجلي الذي بنوا عليه هذه العقيدة الزائفة؟ والعقيدة إنما تبنى على نصوص ثابتة عن المصدر المعصوم المبلغ عن الله تعالى. واضحة المعاني غير محتملة لأكثر من

معنى؟ إنه ليس فيما ورثوه عن اليهود من أسفار العهد القديم، ولا فيما وضعوه على مر الأجيال من الأناجيل ما يثبت هذه العقيدة.

وصفة الأبوة المذكورة في هذه النصوص بصيغها المختلفة مقصود بها الله تعالى، ومع ذلك فإن إضافتها لم تختص بالمسيح عليه السلام في حالات الإضافات المختلفة، ولكن النصارى دائما يحملون ذلك على الأبوة الحقيقة في حق المسيح كما هو الحال في قضية البنوة.

صيغتا التعريف والتنكير:

وردت في الأناجيل أيضا صفة الأبوة بصيغتين صيغة التعريف بأل: (الآب) وصيغة التنكير: (أب) فالمراد بالأب في الحالتين هو الله تعالى. والأبوة في الحالتين يحتمل أن يراد بها الأبوة العامة التي تشمل عموم المؤمنين بالمسيح، أو الأبوة الخاصة بالمسيح عليه السلام وخاصة حينما تأتي مقابلة بكلمة الابن التي يراد بها المسيح وذلك كما في قولهم حكاية عن المسيح: "الحق الحق أقول لكم إن الابن لا يقدر أن يفعل شيئا من تلقاء نفسه بل يفعل ما يرى الآب يفعله"[(١)].

وهذه الصيغة كثيرة الورود في الأناجيل الأربعة. وأما صيغة التنكير فهي قليلة الورود، فقد وردت هذه الصيغة في رواية يوحنا حيث حكى عن اليهود أنهم قالوا للمسيح: "إننا

---

(١) يوحنا ٥: ١٩.

لم نولد من زنى لنا أب واحد وهو الله "[1] .

ومع ورود هذه الصيغ المتعددة التي ما أريد بها إلا الأبوة العامة، فإن النصارى أبوا إلا أن يقولوا في شأن الأبوة والبنوة في شأن المسيح غير ما قالوا في معناها في حق سائر الناس، ولم يكن ذلك إلا اتباعا للشيطان والأهواء .

المطلب التاسع: تأليه المسيح من نتاج أفكار المبتدعين:

إن العهد القديم الذي يقدسه اليهود والنصارى بجميع أسفاره مليء بنصوص التوحيد . وذلك ما أكدته نصوص الأناجيل في العهد الجديد . فإذا كان من جملة وصايا العهد القديم عبادة الله وحده لا شريك له، وكانت الدعوة إلى توحيد الله اعتقادا وقولا وعملا روح الدعوة التي بعث بها موسى عليه السلام في أجلى معانيها كما في قوله : " وراء الرب إلهكم تسيرون، وإياه تتقون، ووصاياه تحفظون، وصوته تسمعون، وإياه تعبدون، وبه تلتصقون "[2]، فكذلك كانت دعوة المسيح عليه السلام دعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد والإيمان بأنه رسول من الله تعالى جاءهم ليبلغهم رسالة ربه وأن ما يأمر به من الأوامر ليس ناشئا من عنده وإنما هو بأمر الله عز وجل وتعليمه .

فإذا كان الأمر كذلك فمن أين جاء النصارى بتأليه المسيح؟ واعتقاد أنه ابن الله سبحانه وتعالى؟ هل قال بذلك

---

(١) وحنا ٨ : ٤١ .
(٢) تثنية ١٣ : ٤ .

المسيح قولا صريحا؟ أم قال بذلك تلاميذه المعتبرون الذين ورثوا العلم والإيمان منه؟

أما أن يكون المسيح قد قال ذلك ونشره بين أتباعه فأمر لم يقع، بل المنقول عنه أنه دائما يدعو إلى التوحيد، وأنه لم يأت لينقض ما دعت إليه الأنبياء من قبله بل جاء ليكمل فكمال التوحيد لا يكون بادعاء أنه ابن الله وإنما يكون بتأكيد وحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله. ولذلك ورد على لسانه فيما ترويه الأناجيل الأربعة أنه ابن الإنسان في أكثر من ثمانين موضعا. وما ذلك إلا حماية منه لحمى التوحيد وتوجيها لأتباعه إلى عدم الغلو فيه لولادته من غير أب أو لإظهاره الخوارق.

وأما أن يقول بذلك تلاميذه المعتبرون فذلك أمر في غاية البعد عن الواقع فإن تلاميذه المعتبرين الذين يعتبرهم النصارى حواريي المسيح عليه السلام لم ينقل عنهم أنهم دعوا إلى تأليه المسيح. وتأكيدا لهذه الحقيقة إليك ما يقوله أحد علماء النصارى في عصرنا: "أخيرا نقول إننا إذا رجعنا إلى تاريخ علاقة الرسل بالمسيح وجدنا أنهم لم يجرؤا في أول الأمر على الاعتراف بأنه هو الله، لأنهم كيهود كانوا يعلمون تمام العلم أن الاعتراف بأن إنسانا هو الله يعتبر تجديفا يستحق الرجم في الحال"[(١)] ولأنهم كيهود أيضا كانوا

---

(١) تثنية ١٣ : ١٠.

يستبعدون أن يظهر الله في هيئه إنسان. نعم كانوا ينتظرون المسيا لكن المسيا بالنسبة إلى أفكارهم التي توارثوها عن أجدادهم لم يكن سوى رسول ممتاز يأتيهم من عند الله، وليس هو ذات الله. ولكن بعدما عاشوا مع المسيح زمنا طويلا شاهدوا فيه تصرفاته وأعماله في كل ناحية من نواحي الحياة أدركوا كل الإدراك أنه لم يكن إنسانا عاديا، ومن ثم أخذوا يفكرون في شخصيته ويجتهدون في الكشف عن حقيقتها.

فقالوا مرة: إنه ملك إسرائيل مع أنه كان فقيرا كل الفقر وبعيدا كل البعد عن أسباب السياسة والملك. وقالوا مرة أخرى: إنه المسيح أو المسيا، مع أنه كان موضع استهزاء رجال الدين الذين كانوا يعتبرون أكثر الناس معرفة بصفات المسيح أو المسيا. وقالوا مرة غيرها إنه ابن الله الحي قاصدين بذلك أنه يشبه الله كل الشبه مع أنه حسب الظاهر كان إنسانا فقيرا محتقرا من الناس ومرذولا . . . وهكذا استمروا في الارتقاء بأفكارهم من مرتبة إلى مرتبة أعلى ليروا أي مرتبة تتناسب مع ذاته وصفاته حتى مات على الصليب موت العار والشنار وحينئذ خامرهم الشك في حقيقته واعتقدوا أنهم كانوا مخدوعين في الاعتراف بأنه ملك إسرائيل والمسيا وابن الله الحي. ولكن عندما رأوا أنه قد قام بعد ذلك من القبر، تبددت كل شكوكهم، وتحولت إلى يقين ما بعده يقين من جهة شخصيته أو حقيقة ذاته"[١].

---

(١) الله طرق إعلانه عن ذاته ص ٢٨-٢٩، لعوض سمعان.

معنى هذا أن تأليه المسيح واعتباره ابن الله على سبيل الحقيقة لم يكن من دين المسيح ولا من قبله، كما لم يكن من عقيدة تلاميذه بل هو من اجتهادات المجتهدين الذين تدرجوا في هذا الاجتهاد حتى ترقوا من كمال إلى ما هو أكمل منه بخيالهم، حتى استقرت خيالاتهم على اعتباره إلها.

فهم إن قالوا عنه ملك إسرائيل لم يجدوا فيه من صفات الملك وأسبابه ما يجعلهم يعتقدون ذلك. وإن قالوا إنه المسيح أو المسيا وجدوا أن علماء اليهود الذين هم أعرف الناس بصفات المسيح أو المسيا يسخرون منه ويستهزئون به فلم يبق إلا أن يقولوا أنه ابن الله. مع أن في هذا القول من مجافاة العقل والنقل ما هو أعظم من القولين السابقين. فالقول بأنه نبي ممتاز أو المسيح أو الملك ليس مما يستحيل عقلا بل هو جائز عقلا ولا مانع منه شرعا وإن كان الملك الدنيوي غير متحقق له في حياته فبطل اعتقاده لفواته برفع المسيح عليه السلام.

المطلب العاشر: المسيح ينكر على بطرس وصفه بالربوبية والألوهية

روى متّى في إنجيله أن المسيح عليه السلام قال لبطرس: "يا شيطان" حينما قال له: يا رب. وقال: إنك معثرة لي. وهذا نص روايته: "ولما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلا: من يقول الناس إني أنا ابن الإنسان؟ فقالوا: قوم يوحنا المعمدان. وآخرون إيليا. وآخرون ارميا أو واحد من الأنبياء. قال لهم: وأنتم من

تقولون أني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحي. فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا إن لحما ودما لم يعلن لك لكن أبي الذي في السماوات... حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح... من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم. فأخذه بطرس إليه وبدأ ينتهره قائلا: حاشاك يا رب. لا يكون لك هذا. فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله ولكن بما للناس"(١).

وروى مرقس قولا مماثلا غير أنه لم يذكر أن بطرس قال له: يا رب. وإن صرح أن المسيح قال له يا شيطان ولم يذكر أنه قال له: أنت معثرة لي(٢).

فوصْفُ بطرس هنا المسيح عليه السلام بالربوبية والبنوة لله هو الذي أثار عليه غضبه حتى وصفه عليه السلام حسب الرواية بأنه شيطان. والشيطان هو البعيد المطرود من رحمة الله عز وجل. ثم عقب ذلك بقوله: أنت معثرة لي. وأي معثرة أعظم من وصف بشر بالربوبية والبنوة لله، وخاصة من أرسل من قبل الرب جل وعلا لتحقيق مقتضيات الربوبية والألوهية الحقة؟ فوصفه بالربوبية والبنوة يعتبر معثرة في

---

(١) متّى ١٦: ٢١-٢٣
(٢) مرقس ٨: ٣١-٣٣.

سبيل رسالته وطريق دعوته، فكل من ادعى ربوبية المسيح أو ألوهيته وبنوته لله فهو شيطان يكون معثرة في طريق رسالته ودعوته عليه السلام. ولو نظرنا إلى بداية النص لرأينا أن الرواية تقول إن المسيح سأل التلاميذ عن أقوال الناس عنه عامة، وما يقولون فيه هم خاصة فكانت إجابتهم عن آراء الناس تتلخص أنهم جميعا يرون أنه نبي، ولكن بطرس سارع وأجاب عن سؤال التلاميذ عن آرائهم فيه قائلا: "أنت المسيح ابن الله". ولم يجب التلاميذ الآخرون حسب الرواية. غير أن هذه الإجابة على مخالفتها للدين الصحيح في غاية الاضطراب ومجانبة الصواب وذلك من عدة نواحي.

الناحية الأولى: ورود مدح وثناء مسهب على بطرس في رواية متّى هذه بحيث يرفعه النص إلى أعلى المراتب بين التلاميذ عقب قوله: "أنت المسيح ابن الله الحي". حيث قال له بعد تطويبه: "إن لحما ودما لم يعلن لك لكن أبي الذي في السماوات. وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السماوات. وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السماوات".

ثم بعد هذا المدح والثناء العظيم عليه بسبب قوله له: "أنت المسيح ابن الله الحي" يقول له ولغيره من

التلاميذ " لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح " . هاهنا أمران :

أحدهما : وصفه أنه المسيح .

ثانيهما : وصفه أنه ابن الله الحي .

فإذا كان بطرس قد وصفه بالصفتين كما في الرواية ، فلم نهيه للتلاميذ منصب على إحداهما دون الأخرى؟ ثم لماذا يطلب كتمان صفته في كلتا الحالتين وهو إنما جاء ليعرفه الناس بصفاته؟

الناحية الثانية : بعد ذلك المدح والثناء على بطرس يأتي وصفه من قبل المسيح بأنه شيطان ، وأنه معثرة للمسيح ما سبب هذين الوصفين ، وصفه بأنه شيطان ، ووصفه بأنه معثرة للمسيح؟ وما هذا التناقض في صفات بطرس؟ صفات مدح وثناء عظيمة ، وصفتا ذم وقدح شديدة ، فكيف يلتقيان في شخص واحد على لسان نبي في موضع واحد؟

الناحية الثالثة : ورود ما يخالف هذه الرواية في موضع آخر من رواياتهم فقد روى مرقس هذه القصة هكذا : " فأجاب بطرس وقال له : " أنت المسيح "[1] . هنا نجد فرقا خطيرا بين الروايتين ، إذ جمعت رواية متى بين وصفه بالمسيح ووصفه بأنه ابن الله ، واقتصرت رواية مرقس على وصفه بالمسيح ، ولم تذكر أنه قال له : " ابن الله " . السؤال الذي يرد هنا : أي الروايتين مطابقة للواقع؟ إن المتأمل في

---

(١) مرقس ٨ : ٢٩ .

الروايتين يتبين له أنه في رواية متّى ما يدل على أن وصفه بالبنوة فيها مدرج، وذلك لأنه يأمرهم بعد ذلك " أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح " . ومطابقة رواية مرقس في هذه اللفظة الأخيرة لهذه الرواية يوحي بأن وصفه بما هو أعظم من كونه المسيح، وهو كونه ابناً لله في زعمهم أحق أن ينقل لو قال ذلك بطرس كما ورد عند متّى في إجابة بطرس. وإجابة لوقا كذلك مطابقة لرواية مرقس حيث جاء فيها قول الكاتب: " فأجاب بطرس وقال: مسيح الله "[1] . ولم يرد عند لوقا ومرقس وصفه من قبل بطرس بأنه ابن الله، كما لم يرد عندهما وصف بطرس بصفات المدح من قبل المسيح. ولكن الذي ورد في رواية متى ومرقس وصفه بأنه شيطان، وينفرد متّى بوصفه على لسان المسيح بأنه معثرة له. ثم يتفق متى ومرقس في وصف بطرس على لسان المسيح بقوله: " لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس "[2] .

وخلاصة الملاحظات على هذه المسألة فيما يأتي:

أولا: فيما يتعلق بوصف بطرس للمسيح:

١ - رواية متى: " أنت المسيح ابن الله الحي " ؟ .

٢- رواية مرقس: " أنت المسيح " .

٣- رواية لوقا: " مسيح الله " .

٤- لم ترد هذه القصة في إنجيل يوحنا.

---

(١) لوقا ٩ : ٢٠ .

(٢) متّى ١٦ : ٢٣ ، ومرقس ٨ : ٣٣ .

ثانيا: فيما يتعلق بوصف بطرس من قبل المسيح عليه السلام حسب الروايات:

١- مدح المسيح لبطرس مدحا مسهبا بعد وصف بطرس له بأنه: "المسيح ابن الله الحي" ينفرد بذلك متى.

٢- ذم المسيح لبطرس ووصفه بأنه شيطان، ومعثرة له، وأنه يهتم بما للناس لا بما لله يروي ذلك متى. ويتفق معه مرقس في وصفه بأنه شيطان، وأنه لا يهتم بما لله لكن بما للناس.

٣- لم يرو يوحنا شيئا يتعلق بهذه القصة.

إن بطرس هذا يصفه النصارى بأنه رئيس الحواريين، وأنه التلميذ الذي يحبه المسيح بناء على ما وصف به بطرس نفسه، ويذكرون أنه هو الذي قطع أذن عبد رئيس الكهنة عند القبض على المسيح عليه السلام حسب زعمهم، وأنه هو الوحيد الذي اتبع المسيح حينما قبض عليه وذهب به من بين جميع التلاميذ، وأنه أنكر كونه أحد تلاميذ المسيح في تلك الليلة ثلاث مرات.

وبذلك صدق عليه وعلى غيره من التلاميذ إنهم سيشكون فيه في تلك الليلة، وأن بطرس سيشك فيه في تلك الليلة ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك. ولقد وصفه المسيح بأنه شيطان، وأنه معثرة له، وأنه لا يهتم بما لله لكن بما للناس، وأنه ينكر المسيح ويشك فيه تلك الليلة ثلاث مرات. ومع هذا كله فقد صدقه النصارى في أنه التلميذ المحبوب، وأنه الشاهد الوحيد ليلة الحادثة على المحاكمة.

المبحث الثاني
الفرق بين صفات الله وصفات المسيح

المطلب الأول: النصارى يساوون المسيح بالله وهو ينفي ذلك:

النصارى يصفون المسيح بجميع صفات الألوهية، ويعتقدون أنه في كل صفاته مساو لله تبارك وتعالى كما ينص على ذلك ما عرف لديهم بقانون الأمانة التي ابتدعها مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥م.

حيث يقولون فيها: "وبرب[1]واحد يسوع الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء"[2] أي إنهم يؤمنون برب واحد هو المسيح الابن الذي يرون أنه مساو للآب في الجوهر. أي مساو لله في كل شيء. فانطلاقا من هذا المبدأ الذي عدلوا فيه المسيح برب العزة تبارك وتعالى، قالوا كما سبق قريبا: "فالله الآب تكلم، والله الابن اعتمد، ونزل الله الروح القدس" قال الدكتور بوست: "طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس"[3]. وهذا ما أكده القرآن الكريم حيث قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ

---

(١) أي: ونؤمن برب واحد.

(٢) انظر أخبار فطاركة كرسي المشرق ص ٤٥-٤٦.

(٣) نقله الشيخ محمد أبو زهرة في محاضرات في النصرانية ص١٠٠.

ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢] وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وكل هذا من تناقضهم، فإنه لو كان هو الله، لما صح أن يقولوا: إنه مساو للآب، فالمساوي للشيء غير المساوى به، إذ لا يساوى الشيءً بنفسه، وإنما يساوى بينه وبين غيره. وهم من تناقضهم يزعمون أنه ابن الله وهو الله، ويقول في الروح القدس كذلك هو الله، وفي الثلاثة يقولون: الله الآب؛ والله الإبن؛ والله الروح القدس؛ كما سبق ذكر ذلك قريباً. وهو ما عليه النصارى كافة الآن. وما من طائفة تؤمن ببنوته إلا وتقول إنه الله كما تقول ذلك في الروح القدس. ولهذا ذهب بعضهم إلى تشبيه الثلاثة ببناء مثلث الشكل كل جهة لها طابع يميزها عن الأخرى والبناء مع ذلك واحد.

والمسيح عند النصارى هو الرب الخالق "الذي به كان كل شيء" وهو يحي ويميت(١) ويحاسب الناس يوم القيامة إذ هو ديان الخلائق أجمعين(٢) عندهم.

ويستدل النصارى على مساواة المسيح لله تعالى بالنصوص التالية من إنجيل يوحنا:

١ - "كما أن الآب له الحياة في ذاته، كذلك أعطى الإبن أيضا أن تكون له الحياة في ذاته" (٣).

---

(١) راجع يسوع المسيح شخصيته تعاليمه تأليف الأب بولس إلياس اليسوعي ص٧٠.
(٢) انظر يسوع المسيح شخصيته تعاليمه ص ٧٣و٧٦.
(٣) يوحنا ٥ : ٢٦.

٢- " لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحي كذلك الابن أيضا يحي من يشاء "[١].

٣- " أيها الآب قد أتت الساعة مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضا "[٢].

هذه النصوص الثلاثة وردت في إنجيل يوحنا. ومع أن الغاية من تأليفه هو إيجاد مستند لألوهية المسيح، والرد على الفرق المعارضة لهذه العقيدة، فإن المتأمل في هذه النصوص الثلاثة لا يجد فيها مساواة المسيح لله تعالى. بل يجد فيها خلاف ذلك.

أما في النص الأول: فلأن قوله: (أن الآب له الحياة في ذاته) صريح في أن الله تعالى له الحياة الذاتية التي لم يكتسبها من أحد لأنه تعالى قائم بذاته غني عن خلقه. وهذه هي القيومية. ولقوله: (أعطى للابن أن تكون له الحياة في ذاته) فالمعطي لا يمكن أن يكون مساويا للمعطى لأن المعطى مفتقر إلى ما أعطي، والمعطي غني عما أعطى، فلا مساواة بين حي حياته ذاتية وحي حياته مكتسبة من الحي القيوم.

وأما في النص الثاني: فلأن قوله: (فالآب يقيم الأموات ويحيي) أثبت أنه قادر على الإحياء والإماتة يحي الموتى بقدرته ويميت الأحياء بقدرته. وأما قوله: (كذلك الابن

---

(١) يوحنا ٥: ٢١.

(٢) يوحنا ١٧: ١.

يحي من يشاء) أي يحي من يشاء الله أن يحييه كما جاء ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠] قيد ذلك بقوله بإذني حتى لا يدعو ذلك النفوس السقيمة إلى الكفر وقد حصل.

وفيه أيضا عدم نسبة الإماتة إليه في النص مع نسبة الإحياء والإماتة إلى الله تعالى. وهذا دليل على عدم المساواة.

وأما في النص الثالث: فلأن المسيح فيه يطلب من الله تعالى أن يمجده وهذا دعاء وتضرع منه إلى ربه بأن يجعل له مجدا، ليكون ذلك عونا له على تمجيد الله تعالى ودافعا إليه على سبيل الشكر لمن مجده كما قال النبي ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حينما كان يقوم الليل حتى ترم قدماه: "أفلا أكون عبدا شكورا" (١). فالله تعالى بعين أهل طاعته على مزيد من الطاعة والشكر بالإحسان إليهم. وفي هذا المعنى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي قال فيه النبي ﷺ: "أوصيك يا معاذ! لا تدعن دبر كل صلاة تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" (٢).

وبهذا يتضح أن ما يتعلقون به من هذه النصوص - على فرض صحتها- تدل على خلاف ما يعتقدون، بل وتهدم عقيدتهم لو كانوا يتفكرون ويعقلون.

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب قيام النبي (حتى تَرمَ قدماه.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب في الاستغفار. والنسائي في كتاب الصلاة وصححه الألباني/ صحيح سنن أبي داود حديث ١٢٣٦ وصحيح سنن النسائي ١٣٤٧.

صفة الإرادة :

نسبت الأناجيل إلى المسيح أقوالاً تدل على أن إرادته ليست هي إرادة الله تعالى فللمسيح إرادة ولرب المسيح تبارك وتعالى إرادة غير إرادة المسيح . وفي هذا وفي هذا ورد في إنجيل متى قول كاتبه عن المسيح أنه قال : " ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات بلل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات "[1] .

وجه الاستدلال بالنص على استقلال إرادة الله تعالى عن إرادة المسيح قوله : بل الذي يفعل إرادة أبي . ولم يقل إرادتي ، ولو كانت إرادته هي إرادة الله لصرح بذلك قائلاً : بل الذي يفعل إرادتي . ثم إنه لو كان هو الرب المعبود المستحق للعبادة لكان من يقول له : يا رب يا رب يستحق دخول ملكوت السماوات لأنه كما يزعمون هو والآب واحد .

وجاء في إنجيل متى ما يؤكد ذلك حيث حكى عن المسيح أنه قال قبل الصلب الذي زعموه : " يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن ليس كما أريد بل كما تريد أنت "[2] .

وكذلك جاء في إنجيل مرقس قول كاتبه حكاية عن المسيح : " ولكن ليكن لا ما أريد بل ما تريد أنت "[3] . وجاء في إنجيل لوقا أيضاً قوله حكاية عنه : " يا أبت إن شئت أن

(١) متّى : ٦ : ١ .
(٢) متّى : ٥ : ٤٨ .
(٣) متّى : ٦ : ١٤-١٥ .

تجيز عني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك "[1].

وهذه النصوص متطابقة في معانيها ودلالتها على أن إرادة الله تعالى ليست إرادة المسيح ، بل إن لله إرادة أزلية نافذة. وللمسيح إرادة مخلوقة تحت إرادة الله تعالى إن أراد نفاذها نفذت ، وإلا فلا.

صفة المشيئة:

إن مشيئة الله تعالى هي المشيئة النافذة الغالبة لمشيئة العباد، وما من مشيئة للعبد إلا ومشيئة الله سابقة عليها: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فكم من مشيئة للعبد لم تحقق لأنه تعالى ما شاء تحققها. ومشيئة المسيح عليه السلام كذلك مسبوقة بمشيئة الله تعالى، وفي هذا المعنى جاءت في الأناجيل نصوص وضحت أن مشيئة المسيح غير مشيئة الله تعالى فمن ذلك قوله فيما نسب إليه كاتب إنجيل يوحنا: " أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني "[2]. وقال أيضا: " طعامي أن اعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله "[3]وقال: " ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني "[4].

---

(١) متّى: ٧: ١١.
(٢) يوحنا ٥: ٣٠.
(٣) يوحنا ٤: ٣٤.
(٤) يوحنا: ١٦: ٣٨.

وهذه النصوص واضحة المعنى في أن مشيئة المسيح ليست مشيئة الله تعالى. وأنه مكلف من قبل ربه ليعمل بمشيئته تعالى. لا بمشيئة نفسه. فأين أصحاب العقول المفكرة من هذه النصوص الجلية في نفي ألوهية المسيح عليه السلام؟

صفة الكلام:

روت الأناجيل ما يدل على أن كلام المسيح هو كلام الله تعالى، وهذا صحيح فإن كلام الرسول إن كان يبلغ عن ربه كلامه الذي أوحاه إليه وأرسله به فهو كلام الله تعالى، وإن كان غير ذلك فكلامه ليس كلام الله تعالى. وفي ذلك وردت هذه النصوص:

جاء في إنجيل يوحنا قول كاتبه حكاية عن المسيح عليه السلام: "والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني"[(١)].

وقال: "الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي"[(٢)]. وقال: "أن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي كما أني قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبتي"[(٣)]. وجاء فيه أيضاً:

"تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من

(١) يوحنا: ١٤: ٢٤.
(٢) يوحنا: ١٤-١٠.
(٣) يوحنا: ١٠: ١٥.

نفسي "[١]. وقال: "لأن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم "[٢] وفي هذه النقول تفريق بين كلام الله تعالى الذي أرسل المسيح، وبين كلام المسيح عليه السلام. ولو كان المسيح هو الله كما زعموا لما قال بالتفريق بين كلامه وكلام ربه الذي أرسله. وهذا يؤكد ما سبق ذكره من نبوة المسيح ورسالته، وأن ذلك يبطل القول بألوهيته. فالإله الحق يُرسل ولا يُرسَل، يُعبَد ولا يَعبُد، ويدعى ولا يدعوا، ويصلى لَه ولا يصلي، ويُسجَد له ولا يَسجُد.

أما المسيح فقد ثبت في نصوص الأناجيل أنه رسول من الله تعالى وليس مُرْسلاً وعابد وليس معبوداً، ويدعوا ربه، ولا يُدْعَى، ويُصَلّي لَله تعالى، ولا يُصَلَّى له، ويَسْجُد لربه تعالى ولا يُسْجَد له، فقد روت الأناجيل عنه كل ذلك. ولو لم يرد فيها غير قوله عليه السلام حسب روايتهم عنه: "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد". قال ذلك لإبليس حسب الرواية حينما طلب منه أن يسجد له مقابل أن يعطيه جميع ممالك الدنيا؛ لو لم يرد فيها سوى هذا القول لكفى دليلاً على عبودية المسيح وبشريته، وإنه ليس له في الألوهية نصيب. وبهذا يبطل قول النصارى إن كلام المسيح هو كلام الله.

فالمسيح عليه السلام قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة لكن أين الأمناء؟!

---

(١) يوحنا: ٧:١٦-١٧.

(٢) يوحنا: ١٧-١٨.

صفة العلم:

ورد في الأناجيل أن علم المسيح دون علم الله تعالى، وأنه تعالى يختص بعلم موعد قيام الساعة والمسيح لا يعلم متى الساعة كما أن الملائكة لا يعلمون ذلك. وذلك دليل على أنه خلق من الخلائق، ونبي مرسل لا علم له إلا ما علمه تعالى وليس له من الربوبية والألوهية حظ. وفي ذلك يقول كاتب إنجيل متى حكاية عن المسيح عليه السلام:

"وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده"[1].

ويقول كاتب إنجيل متى حكاية عن المسيح عليه السلام: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الآب"[2].

وهذا دليل واضح على أن المسيح عليه السلام خلق من خلقه تعالى وليس إلهاً كما زعم النصارى، وأنه لا فرق بينه وبين ملائكة الله تعالى الذين هم عباد مكرمون في عدم العلم بالغيب المكنون الذي اختص الله بعلمه ولم يطلع عليه أحد من خلقه لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً. وهذا ما دلت عليه نصوص الوحي المنزل في الإسلام حيث أغلق الله باب العلم بموعد قيام الساعة عن الخلق أجمعين. ولما جاء جبريل

---

(١) متّى: ٢٤-٣٦.

(٢) مرقس: ١٣-٣٢

إلى النبي ﷺ على صـورة رجل وسـأله عـن الإسـلام والإيمان والإحسـان والساعـة كانت إجابته في السؤال عن الساعة بقوله ﷺ : " مـا المسئـول عنهـا بأعلم من السـائل " أي لست أنـا النبي المرسل بأعلم بموعدها من السائل الذي هو الملك المقرب . ومن الآيات القرآنية التي بينت حقيقة هذا الأمر الآيات الآتية :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (١٨٧) ﴾ [الأعراف : ١٨٧] ، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) ﴾ [النازعات] ، ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) ﴾ [الأحزاب : ٦٣] .

هذه الآيات بينت أن علم الساعة غيب مكنون ، وأن أحداً من الخلق في السماوات والأرض لا يعلم بموعدها . ولو كان المسيح إلهاً كما زعموا لعلم موعد قيام الساعة ، فالإله الحق لا تخفى عليه خافية ، بل هو الذي قد حدد موعد قيام الساعة ، وهو الذي يقيم الساعة ، وحدد ساعتها وقدرها تقديراً . أما وقد أعلن المسيح أنه لا يعلم موعدها ، فقد بلغ البلاغ المبين أنه ليس بإله ولا ابن إله ، وإنما هو بشر رسول .

صفة القدرة :

روى كاتب إنجيل يوحنا أن المسيح عليه السلام بين أن قدرته دون قدرة الله تعالى فقد حكى عنه أنه قال

لليهود: "الحق الحق أقول لكم إن الابن لا يقدر أن يفعل شيئاً من تلقاء نفسه، بل يفعل ما يرى الآب يفعله، فكل ما يعمله الآب يعمله الابن كذلك. لأن الآب يحب الابن، ويريه جميع ما يفعله وسيريه أيضاً أعمالاً أعظم من هذا العمل فتدهشون. فكما يقيم الآب الموتى ويحييهم كذلك يحي الابن من يشاء. الآب لا يحاكم أحداً، بل أعطى الابن سلطة القضاء كلها ليكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. ومن لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله"[١].

إن الذي لا يقدر أن يفعل شيئاً من تلقاء نفسه هو المخلوق الخاضع لقدرة خالقه سبحانه وتعالى وليس له نصيب في الربوبية والألوهية. وقوله: "بل يفعل ما يرى الآب يفعله" ورواية النصارى جعلت هنا كلمة الآب منصوبة لفعل: (يرى) وذلك مما ساعد على تحريفهم للمعنى لأن اللفظ إذا غيرت حركته غير معناه في الغالب[٢]. فالواجب على فرض صحة نسبة هذا القول إلى المسيح أن ترفع كلمة الآب على الفاعلية لفعل يرى.

فيكون المعنى: إن المسيح لا يفعل إلا ما يرى الرب أن يفعله أي ما أذن له الرب بفعله كما قال تعالى في كتابه الكريم ممتناً على عبده ورسوله المسيح عليه السلام ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ

(١) يوحنا: ٥: ١٩-٢٣.
(٢) كما فعلت الجهمية في قول الله تعالى: (وكلم الله موسى تكليماً). نصب لفظ الجلالة نفياً لكلام الله تعالى.

كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠]. فقد بينت الآية الكريمة أن الله تعالى هو الذي أذن للمسيح بكل ما جرى على يديه من الآيات فلولا أن أذن الله له بذلك لما استطاع أن يفعل من عند نفسه شيئاً. ولهذا قال في هذه الرواية: "فكما يقيم الآب الموتى ويحييهم كذلك يحي الابن من يشاء" أي من يشاء الله أن يحييه المسيح أحياه وفاعل المشيئة هو الله تعالى. وبهذا يأتلف أول النص وآخره. لأنه جاء في بدايته: "إن الابن لا يقدر أن يفعل شيئاً من تلقاء نفسه" مؤكداً ذلك بما هو كالقسم: "الحق أقول لكم".

وهذا ما أدركه رجل من اليهود حسب رواية يوحنا حيث قال للمسيح عليه السلام: "يا معلم نعلم أنك جئت من الله معلماً لأنه لا يقدر أحد أن يعمل ما تعمل من آيات إلا إذا كان الله معه"[1].

إن الأسوياء من الناس أدركوا أن الآيات التي جرت على يد المسيح عليه السلام ما كانت لتتحقق إلا بعون الله تعالى ومعيته بالنصر والتأييد، والتوفيق والتسديد، ولكن النصارى لم يكونوا من هذا الصنف.

---

(١) يوحنا: ٣: ٢.

المطلب الثاني: محبة المسيح تابعة لمحبة الله ومغايرة لها:

لقد روى كاتب إنجيل يوحنا أن المسيح عليه السلام قال: "الذي عنده وصايا ويحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه"[1].

وقوله: "يحبه أبي وأنا أحبه" يدل على أن لله حباً وللمسيح حباً، وأن المسيح تابع لحب الله تعالى، وحب الله يحصل لمن عمل بوصاياه التي بلغها عنه رسوله المسيح عليه السلام. وهذا شبيه بما جاء في القرآن الكريم في حق نبينا محمد ﷺ حيث قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فمحبة العبد لله عز وجل باتباع ما جاء به الرسول اعتقاداً وقولاً وعملاً، فإذا حقق العبد ذلك، تحققت محبة الله تعالى له. فأيما امرئ ادعى محبة الله ومحبة رسوله ﷺ فليختبر في وقوله وعمله فإن ظهرت أمارات الصدق في ميدان القول العمل، شهد ذلك على صدقه في محبة الله ورسوله، فإن ادعى محبة الله ومحبة رسوله مع الإعراض البين عما جاء به من الهدى، فهو كاذب ودعواه عارية عن الصحة مقترنة بما يبطلها من الإعراض واتباع الهوى. فعلامة محبة العبد لربه ورسوله الذي أرسله أن يطيع الرسول ويصدقه ويتبع ما جاء به من الهدى والعلم. فمن فعل ذلك ظهرت براهين صدقه في محبة الله ورسوله، وهو

(١) يوحنا: ١٤: ٢١.

مستحق محبة الله تعالى الذي صدق العبد في العمل بدينه المنزل ظاهراً وباطناً وقد علم صدقه في اعتقاده وقوله وعمله .

فأين النصارى من هذه المحبة؟ هل الوصايا التي أخذوا بها وساروا على نهجها هي الوصايا التي جاء بها المسيح ، أو إنها وصايا بولس وغيره ممن لم يقيموا وزناً لوصايا المسيح عليه السلام؟

إن وصايا المسيح عليه السلام في غاية الوضوح والبيان حتى في هذه الأناجيل التي لا يوثق بها . لقد كرر المسيح فيها وصف نفسه بابن الإنسان في أكثر من ثمانين موضعاً ، ولم تأت في حقه صفة أخرى في الأناجيل بهذه الكمية ، وما فعل ذلك إلا لأن هناك بوادر بدرت من بعضهم ترفعه إلى مرتبة الألوهية . وكرر كذلك وصف نفسه بأنه مرسل من الله تعالى في أكثر من أربعين موضعاً ، وما ذلك إلا قتلاً منه ووأداً لعقيدة التثليث في مهدها . غير أن قومه لم يعيروا وصاياه الواضحة البينة أي اهتمام ، فتمسكوا بما أوحى به الشيطان ، ونبذوا ما أوحى به الرحمن من الهدى والفرقان . والله المستعان ، وعليه التكلان .

الله وحده هو الإله الحقيقي :

يعتقد النصارى جميعاً بألوهية المسيح عليه السلام مع ما يدحض من نصوص العهد القديم وما علم من دين الأنبياء بالضرورة ، ومع مئات الأدلة في الأناجيل الأربعة تثبت لله

تعالى الوحدانية في الربوبية والألوهية، وتثبت للمسيح العبودية والإنسانية والنبوة والرسالة. وقد استعرضنا ما يصرح بنبوته ورسوليته من النصوص. وهناك قصة تجربة إبليس للمسيح حسب روايتهم تم ذكرها لا حاجة لإعادتها كلها ولكن جزءاً منها تتجلى فيه وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، كما تتجلى فيه عبودية المسيح عليه السلام وهذا هو الجزء المقصود في الجملتين:

١ . **الجملة الأولى**: "لا تجرب الرب إلهك"[١].

٢ . **الجملة الثانية**: "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد"[٢].

هذان النصان يثبت كل واحد منهما ثلاثة أمور:

الأمر الأول: وحدانية الله تعالى في الربوبية حيث قال فيها: (للرب) بتقديم الجار والمجرور على عامله الذي هو تسجد أي أنه هو الواحد الأحد في ربوبيته.

الأمر الثاني: وحدانية الله عز وجل في ألوهيته حيث قال فيها: "إلهك" أي معبودك الذي لا معبود بحق سواه. أي إن ذي الوحدانية في الربوبية والألوهية لا يجوز لعبده أن يجربه بترك الأسباب التي جعلها من سنن الحياة وذلك بأن يلقي نفسه في مهالك محققة. وفي هذا إثبات لعبودية المسيح عليه السلام، وإثبات أن الله هو الإله وحده. فكما

---

(١) متّى ٤ : ٧.

(٢) متّى ٤ : ١٠.

أن العباد لا يعدلون عن الزواج ويطلبون من الله تعالى أن يهب لهم الذرية اعتمادا على القدرة الربانية لعلمهم أن المسببات تتعلق بالأسباب، وما خالف ذلك مخالف لشرع الله وسننه الكونية. هذا في النص الأول. وأما في النص الثاني فقد قصر السجود خاصة والعبادة عامة على الواحد الأحد الذي لا يستحق ذلك غيره.

الأمر الثالث: عبودية المسيح عليه السلام، فإنه في النصين اعترف لله بأنه ربه وإلهه، وأنه لا يخالف شرعه وسننه الكونية بتعريض نفسه للمهالك، وكذلك لا يسجد إلا له ولا يعبد إلا إياه. فأين الألوهية من إنسان يعلن أن الرب إلهه؟

ويضاف إلى هذا النص قوله أيضا فيما نسب إليه كاتب إنجيل يوحنا: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته"(١).

وفي هذا دليل بين على أن المسيح دعا إلى ما دعا إليه الرسل من قبله من أن الله تعالى هو المعبود بحق، وأن معرفته والعمل بمقتضى تلك المعرفة هو الذي يورث الإنسان الحياة الأبدية السعيدة، مع الإقرار للمسيح بالرسالة. وهذا معنى قول الرسول ﷺ فيما روى عنه عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن

---

(١) يوحنا ١٧ : ٣.

عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل "[1].

ومعنى هذا أن من علم حقيقية التوحيد معترفا لمحمد ﷺ بالعبودية والرسالة، ولعيسى بالعبودية والرسالة، ووجوده بكلمة كن من غير أب، وأنه روح من الأرواح التي هي من خلقه تعالى، وشهد أن الجنة حق ثابت والنار كذلك، أنعم الله تعالى عليه بدخول الجنة على ما كان عليه من العمل.

إن رسول الله ﷺ خص المسيح عليه السلام من بين الرسل الذين سبقوه في هذا الحديث بجعل الاعتراف به وبعبوديته ورسالته وتكوينه بكن. وكون روحه من أرواح الله التي خلقها الله تعالى إبرازا للحقائق في أمره وإبطالا لما يعتقده أهل الباطل فيه من أنه ابن الله، وأنه هو الله، وأنه ثالث ثلاثة.

وجاء في إنجيل متّى أن المسيح قال لرجل قال له: " أيها المعلم الصالح " : " لماذا تدعوني صالحا ليس أحدا صالحا إلا واحد وهو الله "[2].

عجيب أمر هؤلاء النصارى يطرحون النصوص الصريحة التي يروونها عن المسيح جانبا وينبذونها وراء ظهورهم، ويأخذون بروايات لا تمت إلى المسيح بصلة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم...﴾.
(٢) مرقس ١٥ : ٣٤.

رسول من الله تعالى يبين لهم أنه ليس شريكا لله تعالى في خصائص الألوهية، بل إنه عليه السلام يحمي حمى العقيدة حينما يدعى صالحا فيأبى معللا ذلك بأن الله تعالى وحده هو الصالح، وهو عليه السلام ليس شريكا لله في ذلك.

ووردت روايات أخرى تؤكد هذا المعنى تأكيدا جليا فمن ذلك ما جاء في إنجيل متّى حيث روى كاتبه عن المسيح أنه قال عند الصلب المزعوم:

"إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني"(١).

وفي إنجيل مرقس جاء قول كاتبه حكاية عنه أيضا:

"إلوى إلوى لما شبقتني الذي تفسيره إلهي إلهي لما تركتني"(٢).

وحكى يوحنا عن المسيح أنه حينما ظهر لمريم المجدلية بعد حادثة الصلب التي زعموها قال لها: "يا مريم، فالتفتت تلك وقالت له: ربوني الذي تفسيره يا معلم. قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"(٣).

وقفة تأمل:

إن النصين الثاني والثالث اللذين يرويان ما يتعلق بحادثة الصلب، واستغاثة المصلوب بالله قائلا: "إلهي إلهي لماذا

---

(١) متّى ٢٧: ٤٦.

(٢) مرقس ١٥: ٣٤.

(٣) يوحنا ٢٠: ١٦-١٨، ولوقا ١٨: ١٩.

تركتني" . لا علاقة لهما بعبد الله ورسوله عيسى عليه السلام، لأنه لم يقتل ولم يصلب. ومع أننا على اعتقاد جازم بأن ذلك المصلوب ليس عيسى عليه السلام، نريد محاجة هؤلاء بما يعتقدون صحته فنقول: هذا الذي صلب وهو يستغيث ويصرخ كيف يكون إلها؟ إله يستغيث بمن؟ أليس قادرا على النجاة من الصلب؟ إنكم تزعمون انه إله صلب، وهو يقول: إلهي إلهي. أإله له إله؟. فالذي يقول إلهي إلهي عبد يستغيث بمعبوده، وإلهه هو ربه ومعبوده. فالمصلوب إذا عبد وإلهه الذي يستغيث به معبود. فمن أين لكم أن المصلوب إله؟

المطلب الثالث: المسيح ينفي أن يكون هو الله:

لقد سبق إيراد نصوص وأقوال لعلماء النصارى يزعمون فيها أن المسيح هو الله، وتمت مناقشة نصوص بعض الأناجيل التي يتشبثون بها في الاستدلال على ذلك، وكيف ظهر هناك أن تلك النصوص لا تدل على ما ذهبوا إليه بل إنها تهدم عقيدتهم.

وهنا أود إيراد بعض النصوص التي وردت في روايتهم عن المسيح صرح فيها المسيح بما ينفي اعتقادهم. وإلى القارئ المتيقظ بعض تلك النصوص.

أورد كاتب إنجيل يوحنا أن المسيح عليه السلام قال: " ما من أحد رأى الله قط "[1]. وروى أيضا أنه قال: "لم تسمعوا

(١) يوحنا: ١:١٨.

قوله قط ولا أبصرتم هيئته"[1].

ماذا يقول هؤلاء النصارى في المسيح؟ يقولون: إنه الله الابن. ويشهد لها ما مر من قولهم في شرح النص الذي أوردوا فيه اعتماد المسيح على يد يحي بن زكريا ونزول الروح القدس عليه مثل حمامة وصوت من السماء: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، حيث زعموا هناك: أن الله الابن اعتمد، والله الروح القدس نزل عليه، والله الآب نادى. إن الثلاثة كلها عندهم متفرقة: الله أي الله+ الله+ الله =إله واحد!! انظروا إلى هذا الضلال. إن لفظ الجلالة لا يثنى ولا يجمع لأنه علم على ذات الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

إن آلاف البشر قد رأوا المسيح، وآلافاً منهم قد سمعوه وهو يتكلم ويعلم، وهم يقولون إنه الله، وهو يقول لهم: "ما من أحد رأى الله قط" ويقول لهم: "لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته". ومع هذا الرفض لأقوال المسيح وعدم إقامة الوزن لتعاليمه، يدعون انهم مؤمنون به: ﴿أَلا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الصافات: ١٥١، ١٥٢].

لقد زعموا انهم سمعوا صوته حينما قال: هذا هو ابني الحبيب، ورأوه نازلا مثل حمامة، وعاش معهم حتى ارتفع: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

---

(١) يوحنا: ٥: ٣٧.

من آمن بالمسيح حقا، فإنه يطيعه ويصدقه ويتبعه، ومن لا يؤمن به فهو الذي يؤلهه ويفتري عليه متبعا بولس الذي أرسله اليهود ليفتن أتباع عيسى ويصرفهم عن دعوته بابتداع نحلة جديدة لم يدع إليها أحد من الأنبياء، بل دعوتهم على مر الأزمان والأجيال كانت إلى توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، والمسيح عليه السلام حلقة كبيرة من تلك السلسلة المباركة من خيار عباد الله تعالى المصطفين الأخيار فصلوات الله وسلامه عليهم في العالمين أبد الآبدين، وعلى من اتبعهم بإحسان وإيمان إلى يوم الدين.

المطلب الرابع: المسيح نفى أن يقتل بأيدي اليهود:

روت أناجيل النصارى أن المسيح عليه السلام كان يتضرع إلى الله تعالى في تلك الليلة التي زعموا أنه قبض عليه فيها. ومع شدة تضرعه وكثرة صلاته وركوعه وسجوده، فإنهم يرون أنه قبض عليه وقتل صلبا. ثم إنهم رووا أيضا مجموعة من الأمور التي تدل على أنهم لم يكونوا عنده ولا معه تلك الليلة ابتداء من ساعة القبض عليه حسب الرواية، بل إنهم لم يستطيعوا أن يسهروا معه تلك الليلة لأنهم كانوا مثقلين بالنوم، وكان يتردد إليهم ويلومهم على عجزهم أن يسهروا معه تلك الليلة. ثم ذكروا أن التلاميذ هربوا ساعة القبض عليه غير أن بطرس وحده كان يتبعه من بعيد وهم يمشون به. هكذا يتبعه من بعيد والوقت لم يكن

نهارا إنما هو ليل. هل قبضوا عليه بالفعل؟ وإن قبضوا عليه هل استمر مقبوضا عليه في أيديهم أم إنه خرج من أيديهم بمعجزة؟ أو أن الحاكم الروماني نفسه الذي روت الأناجيل أنه علم ببراءته بعد استجوابه فيما نسب إليه، وأظهر احترامه والشفقة عليه وأعلن تبرؤه من دمه قد أطلقه فخرج المسيح فرفعه الله إليه، ولكي تهدأ فتنة اليهود وشغبهم في المدينة رأى أن يعطيهم إنسانا آخر شبيها بعيسى عليه السلام ليقوموا بصلبه وبذلك يتم امتصاص غضبهم؟ فلما أعلن اليهود أنهم قتلوه صلبا صدقهم الذين تفرقوا عنه، ولم يكونوا قد شاهدوا ما جرى له بأعينهم، ولكنهم صدقوا أعداءه وأعداءهم فيما أخبروهم به، ثم أخذوا يحيكون نسيج عقيدة الصلب والفداء من أجل الخطيئة الأولى على ما دبر لهم اليهود من المؤامرة. وما سيأتي عرضه من نصوص متضاربة في موضوع الصلب سيوضح هذا الأمر.

لنعد إلى ما يدل على أن المسيح أخبر تلاميذه بحاله ومقاله أنه سيرفع حيا إلى السماء. فقد روى إنجيل يوحنا أن المسيح عليه السلام قال لقومه:

" أنا معكم زمانا يسيرا بعد، ثم أمضي إلى الذي أرسلني. ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أن تأتوا. فقال اليهود فيما بينهم إلى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لا نجده نحن؟ ألعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين

ويعلم اليونانيين؟ ما هذا القول الذي قال: ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون لا تستطيعون أن تأتوا "[1].

فتأمل أيها القارئ في معنى هذا النص: "ثم أمضي إلى الذي أرسلني" ما قال: ثم أموت. ثم قال: "ستطلبونني" لو كان المضي المذكور مضيا بالموت بطريقة علنية كما يعتقدون، لما قال: "ستطلبونني" لأن من علم بموته يقينا لا يطلب أبدا. ولهذا يبحث الناس عن المفقود وينتظرون عودته يوما من الأيام حتى لو فقد في حرب من الحروب، ولا يزال ذلك حالهم حتى يغلب على الظن أنه لا يبقى إلى زمن معين لتجاوز سني عمره زمنا لا يبقى فيه الناس عادة على قيد الحياة في مثله. فإذا كان مراده الموت فلم يقول لهم أنهم سيطلبونه؟ إنه نجاة ورفع إلى السماء وليس بقتل وصلب. ثم إنه قال لهم: "وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا" ما معنى هذه الجملة أيضا؟ لو كان المراد بها الموت لما قال ذلك، لأن الموت سبيل لكل إنسان لا بد أن يسلكه وليس الموت خاصا بالمسيح عليه السلام. إنما هو عام لجميع البشر. ولما كان المراد بذلك أمرا خاصا بالمسيح عليه السلام وهو رفعه إلى السماء حياً، قال ذلك لأنه أمر لا يكون لغيره، ولا يقدر غيره أن يأتوا إليه حيث هو. وفي ذلك نفي للصلب الذي زعموه، وإشارة واضحة إلى رفع الله تعالى له من بينهم.

---

(١) يوحنا ٧: ٣٣-٣٦.

وقال في موضع آخر من نفس الإنجيل: "يا أولادي أنا معكم زمانا قليلا، بعده ستطلبونني وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا، أقول لكم أنتم الآن"(١).

إن هذا القول قاله المسيح لتلاميذه خاصة حسب الرواية، والذي قبله قال لليهود، ومعناهما واحد، وهو يؤكد ما سبق قوله من أنه سيكون في مكان لا يقدرون الوصول إليه، أي لا يقدر أعداءه أن يصلوا إليه بالأذى الذي يزمعون أن يناله منهم، لأنه سيكون في رعاية الله وكنفه المنيع الذي لا يصل إليه أحد من خلقه. ولهذا قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥]. فقد قبضه الله إلى السماء حيا وطهره من مجاورة أهل الكفر والفسوق بقسميهما المعادي، والمغالي بحيث أن كلا من الفريقين لا يقدر أن يصل إلى حيث بوأه الله تعالى في سمائه. ثم إن الله تعالى أخبرنا في كتابه المنزل أن الذين ادعوا من أعدائه اليهود انهم قتلوه، والذين صدقوهم فيما ادعوه من أصحابه لم يكونوا على يقين من أمره، أهو الذي قاموا بصلبه وهو الذي جرت على يديه تلك المعجزات الباهرات من إحياء الموتى وإبراء المرضى أم غيره هو الذي قاموا بصلبه وله به شيء من الشبه؟ قال الله تعالى في بيان وقوع الشك في المختلفين في أمره وقد ذكر ادعاء

(١) يوحنا ١٣: ٣٣.

اليهود انهم قتلوه، ونفى ذلك الادعاء: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

ومما ينفي قتل المسيح عليه السلام قوله عليه السلام لليهود حسب روايتهم: "ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة. لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا ابن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح. الحق أقول لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجيل"[(١)].

ووجه الاستدلال بهذا النص أن آخر المقتولين على أيدي اليهود من الأنبياء في هذا النص هو زكريا بن برخيا عليه السلام وهو والد يوحنا (يحي) الذي كان معاصراً وقتله الحاكم الروماني ولم يكن اليهود هم الذين قتلوه لذلك لم يذكر يحي. وأما المسيح فهو أيضاً لم يذكر نفسه من جملة من لليهود يد في قتلهم من الأنبياء، لأنه قد أعلم أنه لن يقتل على أيدي اليهود. ومما يدل على أن أيدي اليهود لم تصل إلى عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام ما سيقوله تعالى له ممتناً عليه يوم القيامة بما من عليه في الحياة الدنيا:

---

(١) متّى ٢٣: ٣٤-٣٦.

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠]، إنه تعالى يمتن عليه بأنه كف أيدي بني إسرائيل عنهم فلم يمكن أحداً منهم إلى الوصول إليه بأي أذى إلا ما كان من أذى اللسان الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في معنى آية المائدة: "أي واذكر نعمتي في كفي إياهم عنك حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله إليهم، فكذبوك واتهموك بأنك ساحر، وسعوا في قتلك وصلبك فنجيتك منهم، ودفعتك إلي، وطهرتك من دنسهم، وكفيتك شرهم، وهذا يدل أن هذا الامتنان كان من الله إليهم بعد رفعه إلى السماء، أو يكون هذا الامتنان واقعاً يوم القيامة، وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لا محالة. هذا من أسرار الغيوب التي اطلع الله عليها نبيه محمداً ﷺ "(١).

المطلب الخامس: إن الله تعالى أعظم من المسيح:

سبق إيراد اعتقاد النصارى مساواة المسيح بالله تعالى في كل شيء، غير أن هذا الاعتقاد مخالف لما جاء في أناجيلهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص ٦٧٨ ط دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت لبنان.

مخالفة صارخة. فقد روى كاتب إنجيل يوحنا أن المسيح صرح بذلك حيث قال: " ولأن أبي أعظم مني "[(١)].

وهذا النص واضح الدلالة على عدم مساواة المسيح ربه العلي تبارك وتعالى باعترافه هو أن الرب أعظم منه. فأين تذهبون يا مؤلهي عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام. الذي بين للناس ما أوحى الله به إليه خير بيان، وأقام على عباده أقوى دليل وأعظم برهان، لكن الصم والعميان، من القساوسة والرهبان، أبوا إلا عبادة الشيطان والإشراك بالملك الديان.

وربنا تبارك وتعالى هو العظيم الذي لا أحد أعظم منه ولا يساويه أو يدانيه أحد في العظمة، وهو العظيم الذي يعطي من يشاء من العظماء ما شاء من العظمة. وهو العظيم في أسمائه وصفاته لا إله إلا هو. وما من عظيم في الوجود إلا والله تعالى أعظم منه، وما من صاحب عظمة إلا والله تعالى هو مانح تلك العظمة. فالمسيح من عظماء الرسل، ولكن ربه الذي أرسله هو مانح العظمة له وهو إذا لا شك اعظم منه.

إن النصارى يزعمون أن المسيح مساو لله تعالى في كل شيء كما سبق، ولكن هذا النص الإنجيلي يرد ذلك ويدفعه، لأنه يصرح بأن الله تبارك وتعالى أعظم من المسيح، فإن المسيح مخلوق من مخلوق، ولا يمكن أن يكون المخلوق أعظم من الخالق أو مساويا له. ومن المعلوم عند أرباب العقول السليمة، أن الصانع أفضل من المصنوع، والمعبود

---

(١) يوحنا: ١٤: ٢٨.

أشرف وأعظم من العابد، ولهذا شنع الله عز وجل على الذين عبدوا خلق الله تعالى معرضين عن عبادة الخالق، والذين عبدوا ما صنعته أيديهم من أصنام فقال: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧] وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣] وقال: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦] وقال: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] وقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان: ٣] وقال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١].

هذه الآيات البينات توضح أن المعبود بحق لا بد أن يكون خالقا، ومن ليس بخالق فليس له نصيب في الألوهية فكيف يعبد هؤلاء المشركون من لا يخلق شيئا وهم مخلوقون، وصاحب الربوبية الحقة، هو ذو الألوهية على خلقه أجمعين. ثم كيف يعبد عاقل ما صنعته يده: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾. ولو أن إنسانا أحسن إليه محسن حينا من الدهر، فقام يمدح ويشكر غير من احسن إليه في محفل عام ألا يعتبر سفيها في غاية السفه والجهالة؟ فكيف بمن يعبد غير الله والله قد خلقه؟ ولهذا قال رسول الله ﷺ حينما سئل أي الذنب أعظم: (أن تجعل لله ندا وهو خلقك)[1].

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون..﴾، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب.

المبحث الثالث:
صفات المسيح في نصوص الأناجيل

المطلب الأول: عبودية المسيح عليه السلام وبشريته:

إن عبودية المسيح عليه السلام لله عز وجل حقيقة أكدها القرآن الكريم منذ ولادته عليه السلام حيث قال الله عز وجل مخبراً عن أول كلام نطق به بعد ولادته: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

إنه عبد لله عز وجل كسائر العباد غير أن الله اصطفاه بالنبوة والكتاب كما اصطفى من قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وفي موضع آخر من القرآن الكريم يقول الله تعالى مخبراً عن هذه الحقيقة التي جهر بها المسيح عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١] ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٣٦].

وحينما يسأله الله عز وجل يوم القيامة أمام الخلائق أهو الذي قال للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله يقول المسيح عليه السلام كما أخبر الله عنه: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

هكذا بين القرآن عبودية المسيح (لله رب العباد فالعبودية أعلى مقام للعباد عند الله تعالى. فكما أثبت له العبودية أثبت له البشرية سبحانه وتعالى بقوله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥].

وقال عز وجل مشبهاً المسيح بآدم عليه السلام في خلقه بلا أب : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

هكذا أكد القرآن بشرية المسيح (ومشابهته لآدم في خلقه بلا أب بل إن آدم أكثر غرابة لخلقه من التراب الذي لا حياة فيه ولوجوده بلا أم أيضاً فكيف اعتبر النصارى المسيح إلها مع وجود من هو أكثر غرابة منه في وجوده؟!

المطلب الثاني: نبوة المسيح كما في الأناجيل:

وردت في الأناجيل الأربعة نصوص وصف فيها المسيح عليه السلام بالنبوة، فالنبي هو الذي نبأه الله بالوحي إليه بأنه نبيه. أي منبأ نبأ خاصا ليس فيه تكليف بالتبليغ، وذلك محض تشريف من الله تعالى لمن اصطفاه لذلك. فإذا أوحى إليه وكلفه بالتبليغ فهو رسول. فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا. وقد يطلق لفظ النبي ويراد به الرسول شرعاً، وإن كان معنى كل منهما في اللغة مختلفاً.

وإذا استعرضنا نصوص الأناجيل وقلبنا صفحاتها، وجدنا فيها من النصوص التي وصفته بالنبوة الشيء الكثير. وكانت هذه الصفة اعتقاد جماهير مواطنيه فيه عليه السلام حيث كانوا يصفونه بذلك على مسمع منه وهو يقرهم على ذلك. فمن تلك النصوص:

١ - " فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل "[١].

(١) متّى ٢١ : ١١.

٢- " فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه "[(١)].

٣- " فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم "[(٢)].

٤- " قالت له المرأة يا سيدي أرى أنك نبي "[(٣)].

٥- " قالوا أيضاً للأعمى ماذا تقول أنت عنه من حيث إنه فتح عينيك؟ فقال: إنه نبي "[(٤)].

٦- ونسبوا إلى المسيح أنه قال: " بل ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجاً عن أورشليم "[(٥)].

٧- " فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا إن هذا بالحقيقة هو النبي "[(٦)]، أي بعدما سمعوا كلام المسيح عليه السلام.

٨- ونسبوا إليه أنه قال: " ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وبين أقربائه وفي بيته "[(٧)]. يريد بذلك أنه كذلك.

٩- ولما سأل المسيح تلاميذه قائلاً: " من يقول الناس أنا؟ فأجابوا: يوحنا المعمدان، وآخرون إيليا، وآخرون واحد من الأنبياء "[(٨)]، أي إن تلاميذه يعتقدون أنه واحد من الأنبياء، وليس بإله.

---

(١) لوقا ٧: ١٦.
(٢) يوحنا ٦: ١٤.
(٣) يوحنا ٤: ١٥.
(٤) يوحنا ٩: ١٧.
(٥) لوقا ١٣: ٣٣.
(٦) يوحنا ٧: ٤٠.
(٧) متّى ١٣: ٥٧ ومرقس ٦: ٤.
(٨) مرقس ٨: ٢٨.

تعليق:

هذه النصوص التي حوتها الأناجيل النصرانية بجانب نصوص أخرى كثيرة دلت دلالة بينة على نبوة المسيح عليه السلام، فمعظم هذه النصوص -حسب روايتهم لها- قالها الناس أفراداً وجماعات في حضور المسيح عليه السلام، بل إن بعضها ورد على سبيل الخطاب من قائلها له، كقول المرأة له: "يا سيدي أرى أنك نبي" وقول الناس جواباً عن سؤاله إياهم من يقول الناس "إني أنا" فأجابوا: "...يوحنا المعمدان، وآخرون إيليا وآخرون واحد من الأنبياء"، وقد أقر المسيح جميعهم على ما قالوا من حيث النبوة. وهو القائل عن نفسه حسب الرواية: "ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وبين أقربائه وفي بيته". وهو القائل أيضاً عن نفسه: "لا يمكن أن يهلك نبي خارجاً عن أورشليم". وهذا كله يبرز أن أكثر معاصريه يؤمنون بنبوته، والنبوة أمرها معلوم في بني إسرائيل، فهو عليه السلام آخر أنبيائهم. فقد تتابعت فيهم النبوات، فمتى وجدوا شخصا ادعى النبوة صادقا، وظهر على يديه من الآيات ما يدعو إلى تصديقه قالوا بنبوته، وإن أعرض من أعرض، فلذلك اعترفوا له بالنبوة حسب المبادئ التي كانت معروفة لديهم، ولم يقل عليه السلام لأحد من هؤلاء إنه إله وليس نبياً، أو إنه ابن الله وليس نبيا. وإذا كان المسيح قد جاء ليعلن للناس أنه ابن

الله وأنه إله أو الله فلماذا لا يصرح للناس بهذه القضية الإيمانية التي تعتبر أعظم من أي قضية في الدين؟ ويلاحظ هنا أمر مهم، وهو أن بطرس الذي يزعمون أنه رئيس الحواريين تضاربت روايات الأناجيل فيما قاله المسيح حين سأل التلاميذ "من يقول إني أنا؟ فأجابوا: يوحنا المعمدان، وآخرون إيليا، وآخرون واحد من الأنبياء. فقال لهم: وأنتم من تقولون أني أنا؟ فأجاب بطرس وقال له: أنت المسيح، فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه"[1]. ثم استمر يعلمهم ويخبرهم أنه سوف يتألم كثيرا، ويقتل ويقوم بعد ثلاثة أيام: "فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره، فالتفت وأبصر تلاميذه فانتهر بطرس قائلا: اذهب عني يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس"[2]. وجاء في رواية متّى في إجابة بطرس أنه قال: "أنت المسيح ابن الله الحي" وأن المسيح قال له: "طوبى لك يا سمعان بن يونا. إن لحما ودما لم يعلن لك لكن أبي الذي في السماوات. وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني[3] كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السماوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السماوات"[4]. هذه

(١) مرقس ٨: ٢٧-٣٠.
(٢) مرقس ٨: ٣٢-٣٣.
(٣) هكذا ورد في النص: "أبني".
(٤) متّى ١٦: ١٦-٢٠.

الزيادة التي فيها أن المسيح هو ابن الله الحي، وأن المسيح أثنى على بطرس بعد هذه الإجابة من بطرس، بهذا الثناء، غير موجودة في إنجيل مرقس. غير أن ما نسب مرقس إلى المسيح أنه قال لبطرس: "اذهب عني يا شيطان" موضع اتفاق بينه وبين متّى وإن كان متّى أتى بزيادة أيضا عقب هذا القول المنسوب للمسيح أنه قال: "أنت معثرة لي" فأي الصفتين من صفات بطرس؟ وهل تجتمع هاتان الصفتان أن يوصف بهما شخص واحد على لسان نبي معصوم؟ وهذا أمر مستبعد. وأمر آخر هنا في غاية الأهمية وهو وصف المسيح من قبل الناس بصفة النبوة، ثم وصفه على لسان بطرس في إنجيل مرقس أنه قال: "أنت المسيح" وفي متّى: "أنت المسيح ابن الله الحي" أي إنه زاد على ما في مرقس لفظة: "ابن الله الحي" فشتان بين ما رواه مرقس وما رواه متّى. فالمسيح عند مرقس موصوف بصفة واحدة وهي: "المسيحية" وهو موصوف عند متّى بالمسيحية والبنوة. فهل أهملها لوقا على أهميتها مع أن بطرس ذكر الصفتين، أو أن بطرس لم يقل سوى ما قاله مرقس؟! وأن متّى هو الذي زاد الصفة الثانية من عنده ولم يقلها بطرس؟ سؤال ينتظر الإجابة المنصفة.

وتؤيد رواية لوقا رواية مرقس فيما قاله بطرس إذ جاء فيها أن بطرس قال: "مسيح الله" (١). وأما يوحنا فهو على

(١) لوقا ٩ : ٢٠.

المبدأ الذي ألف من أجله فقد نسب إلى بطرس أنه قال: "أنت المسيح ابن الله الحي"[1]. ولم ترد فيه أي صفة مدح أو قدح لبطرس عقب ذلك. وكذلك رواية لوقا خلت من ذلك. غير أن الجدير بالملاحظة في رواية يوحنا أن المسيح عليه السلام، قال عقب قول بطرس له: أنت المسيح ابن الله الحي: "أليس أني أنا اخترتكم الاثني عشر وواحد منكم شيطان"[2].

إذا تأمل القارئ في هذا السياق مقارنا بين ما رواه متّى ومرقس في وصف بطرس على لسان المسيح بأنه شيطان عقب قوله له ما قال، يفهم منه أن الذي وصف هنا في رواية يوحنا بأنه شيطان هو نفسه الذي وصف بذلك عند متّى ومرقس، ولكن يوحنا يعقب على ذلك بجملة مفسرة من عنده إذ قال: "قال عن يهوذا سمعان الاسخريوطي"[3]. أي أن الذي وصفه المسيح من الاثني عشر بأنه شيطان هو يهوذا. هذا ما فهمه الكاتب وليس ما قاله المسيح. وما قاله المسيح واضح في روايتي متّى ومرقس أنه قال ذلك لبطرس. ويبدو أن سبب وصفه بذلك وصفه للمسيح بالبنوة لله تعالى ولذلك قال له أنت معثرة لي. وأي معثرة أعظم من أن يكون إنسان سببا لهذا الكفر الشنيع: (اعتقاد بنوة المسيح لله تعالى على وجه الحقيقة) مع أنه عبد الله ونبيه.

---

(١) يوحنا ٦: ٦٩.
(٢) يوحنا ٦: ٧٠.
(٣) يوحنا ٦: ٧١.

فالمسيح عليه السلام نبي بعثه الله تعالى لبني إسرائيل لإحياء ما أماته اليهود من شريعة موسى عليه السلام، ولم يأت ناسخا مبدلا لها، كما رووا عنه أنه قال: " لا تظنوا أني جئت لأنقص الناموس والأنبياء، ما جئت لأنقص بل لأكمل "[1].

وهنا تعليق يسير على النص الثالث الذي جاء في رواية يوحنا حيث جاء فيه: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم "[2]. في هذا النص مخالفة لخصوصية رسالة المسيح ببني إسرائيل. فإنه لم يرسل إلا إلى بني إسرائيل خاصة، ولم يرسل إلى الناس كافة. وهذا هو الذي رووا عنه: " لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة "[3]. وهذا الواقع الذي عليه النصرانية بعد نشأتها عقب رفع المسيح عليه السلام هو على خلاف ما بعث به المسيح ودعا إليه، غير أن واضعي النصرانية استسهلوا تعميم الدعوة إلى النصرانية بعد أن استسهلوا وضع ديانة مخالفة لما دعت إليه الرسل والأنبياء الذين منهم موسى صاحب الشريعة وعيسى منقي الشريعة مما علق بها من الجهالات المتراكمة على مر التاريخ وتعاقب القرون والأجيال.

---

(١) متّى ٥: ١٧.
(٢) يوحنا ٦: ١٤.
(٣) متّى ١٥: ٢٤.

المطلب الثالث: رسولية المسيح كما في الأناجيل:

الرسول هو الذي يحمل رسالة من مرسله سواء كانت الرسالة شفهية أو مكتوبة. وللرسالة أربعة أركان:

الركن الأول: المُرْسِلُ:

وهو الله تعالى الذي أرسل رسله وهذا الركن هو الركن الأعظم لأن الذي يصطفي للرسالة من يشاء ويصطفي الدين هو الله وحده.

الركن الثاني: المُرْسَلُ:

وهو النبي الذي يحمل رسالة الله تعالى إلى من أرسله إليهم، وهو مصطفى من ربه تعالى، وهو في أعلى درجات العبودية لله تعالى.

الركن الثالث: المُرْسَلُ إليهم:

وهم الأمة التي أرسل الله إليهم رسوله.

الركن الرابع: الدين الذي أرسلوا به:

إن الركن الأعظم من هذه الأركان هو الركن الأول لأن الله تعالى هو العظيم الذي لا أحد أعظم منه، فهو يرسل عبيده الذين اصطفاهم لحمل الرسالة، وهو خالقهم ومرسلهم ومصطفيهم. فكل رسول لا بد له من مرسل، والمرسل أعظم من الرسول وهو غير الرسول أيضا، ولا يعقل أن يكون الرب هو المرسل وهو الرسول. إلا على

مذهب أصحاب وحدة الوجود الذي يقول فيه قائلهم[1] : "

إلى رسولا كنت مني مرسلا وذاتي بآياتي علي استدلت[2]

وهو مذهب أهل الإلحاد المخالف لدين الأنبياء، فالمرسل هو الرسول وهو المرسل إليهم عند هؤلاء لأن الوجود كله شيء واحد. والنصارى وإن لم يقولوا هذا في الوجود عامة- قالوا في المسيح خاصة: ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا** ﴾ [الكهف: ٥].

وبعد أن تم تقديم ما به الفرق بين المرسل والرسول بقي أن نستعرض النصوص الواردة في الأناجيل الأربعة في وصف المسيح عليه السلام نفسه بأنه مرسل من ربه. وإليك أيها القارئ المنصف هذه النصوص التي لم يعرها رواتها وحاملوها من النصارى أي اهتمام لمخالفتها لأهوائهم:

المطلب الرابع: نصوص من الأناجيل تثبت رسالة المسيح:

١ - " لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة "[3].

٢ - " من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني، ومن قبل نبياً باسم نبي فأجر نبي يأخذ "[4].

٣ - " من قبل واحدا من أولاد مثل هذا يقبلني ومن قبلني فليس يقبلني بل الذي أرسلني "[5].

---

(١) وهو عمر بن الحسن المعروف بابن الفارض.

(٢) ديوان ابن الفارض التائية الكبرى المسماة نظم السلوك ص٥٠ ط المكتبة الثقافية ببيروت، لبنان.

(٣) متّى ١٥ : ٢٤.

(٤) متّى ١٠ : ٤٠.

(٥) مرقس ٩ : ٣٧، ولوقا ٩ : ٤٨.

٤ - " والذي يرذلكم يرذلني، والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني "[1].

٥ - " طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله "[2].

٦ - " من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله. الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية "[3].

٧ - " أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني . . . هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي بأن الآب قد أرسلني. والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي . . . لأن الذي أرسله هو لستم تؤمنون به "[4].

٨ - " وقال لهم يسوع هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله . . . لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني. وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني . . . لأن هذه مشيئة الذي أرسلني. لا يقدر أحد أن يقبل إلي إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني "[5].

---

(١) لوقا ١٠ : ١٦ .

(٢) يوحنا ٤ : ٤٣٢ .

(٣) يوحنا ٥ : ٢٤ .

(٤) يوحنا ٥ : ٣٠-٣٨ .

(٥) يوحنا ٦ : ٢٩-٤٤ .

٩ - "كما أرسلني الآب الحي وأنا حي بالآب" [١].

١٠ - "فتعجب اليهود قائلين: كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم؟ أجابهم يسوع وقال: تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي. من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم" [٢].

١١ - "فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلا: تعرفونني وتعرفون من أين أنا ومن نفسي لم آت بل الذي أرسلني هو حق... لأني منه وهو أرسلني... فقال لهم يسوع: أنا معكم زمانا يسيرا بعد، ثم أمضي إلى الذي أرسلني" [٣].

١٢ - "فإن كنت أنا أدين فدينونتي حق، لأني لست وحدي، بل أنا والآب الذي أرسلني، وأيضا في ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق، أنا هو الشاهد لنفسي، ويشهد لي الآب الذي أرسلني" [٤].

١٣ - "لكن الذي أرسلني هو حق... ولست أفعل شيئا من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي وهو الذي

---

(١) يوحنا ٦: ٥٧.

(٢) يوحنا ٧: ١٥-١٨.

(٣) يوحنا ٧: ٢٨-٢٩.

(٤) يوحنا ٨: ١٦-١٨.

أرسلني، هو معي ولم يتركني الآب وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه "[١].

١٤ - " أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم لكنكم تريدون أن تقتلوني لأن كلامي لا موضع له فيكم. أنا أتكلم بما رأيت عند أبي. وأنتم تقولون ما رأيتم عند أبيكم. أجابوا وقالوا له: أبونا هو إبراهيم. قال يسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله هذا لم يعمله إبراهيم. أنتم تعملون أعمال أبيكم. فقالوا له: إننا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله. فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من الله وأتيت. لأني لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني... أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم ترون أن تفعلوا "[٢].

١٥ - " فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف "[٣].

١٦ - " ورفع يسوع عينيه وقال: أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني "[٤].

---

(١) يوحنا ٨: ٢٨-٢٩.
(٢) يوحنا ٨: ٣٧-٤٤.
(٣) يوحنا ١٠: ٣٦.
(٤) يوحنا ١١: ٤١-٤٢.

١٧- " الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني والذي يراني يرى الذي أرسلني . . . لأني لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم "[١] .

١٨- " الذي يقبلني يقبل الذي أرسلني "[٢] .

١٩- " والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني "[٣] .

٢٠- " لأنهم لا يعرفون الذي أرسلني "[٤] .

٢١- " وأما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني وليس أحد يسألني أين تمضي "[٥] .

٢٢- " وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته . . . لأن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم . وهم قد قبلوا وعلموا يقينا أني خرجت من عندك وآمنوا أنك أرسلتني . . . كما أرسلتني إلى العالم[٦] ، أرسلتهم أنا إلى العالم . . . ليؤمن العالم أنك أرسلتني . . . وليعلم العالم أنك

---

(١) يوحنا ١٢ : ٤٩ .
(٢) يوحنا ١٣ : ٢٠ .
(٣) يوحنا ١٤ : ٢٤ .
(٤) يوحنا ١٥ : ٢١ .
(٥) يوحنا ١٦ : ٥ .
(٦) يظهر أن هذا الكلام موضوع عليه ، فهو لم يكن مرسلا إلى العالم وإنما أرسل إلى بني إسرائيل خاصة . أما عموم الرسالة فهي من خصائص سيدنا محمد ﷺ .

أرسلتني . . . أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك. أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أرسلتني "[1].

وقفة تأمل:

لقد وردت صفة الرسالة في حق المسيح في هذه النصوص التي بلغ عددها اثنين وعشرين نصا نحو اثنتين وأربعين مرة. والذي يصف المسيح بهذه الصفة هو المسيح نفسه. فلماذا عدل النصارى عن هذه الصفة البارزة الواضحة الحقة في المسيح إلى صفات لا تقرها الشرائع والعقول السوية؟ فماذا يكون جوابهم حين يعلن المسيح براءته مما وصفوه به من الألوهية يوم الدين معلنا في ساحة الحشر على رؤوس الخلائق أجمعين وهو يقول لربه وخالقه: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

إن صفة البنوة التي وصف بها المسيح عليه السلام لم تكن الصفة التي أطلقها المسيح على نفسه كما سبق، وإنما هي صفة أطلقت عليه من غيره. وما نسب إليه من القول في ذلك لا يعدو أن يكون موضوعاً عليه من قبل غيره، ولو فرضنا أنه هو القائل لها، فإن ما يصرف معناها عن ظاهرها من النصوص كثير جداً. فمن ذلك:

١- وصفه نفسه في الأناجيل الأربعة بابن الإنسان في أكثر من ثمانين موضعاً منها. والكثير الصريح يفسر به القليل

(١) يوحنا ١٧: ٣-٢٥.

غير الصريح، ويحمل عليه، ولا يحمل الكثير على القليل الغامض. ولو تعارضت شهادة الشهود لدى القاضي في الأمور الدنيوية بأن شهد الأكثر من الشهود العدول على خلاف ما شهدت به القلة مع اضطراب في شهادتها، لأخذ القاضي بشهادة الأكثر عدداً والأوضح معنى والأقوى عدالة والأكثر توافقاً. فكيف إذا كانت أقوال المسيح الكثيرة والصريحة بينت أنه ابن الإنسان، وأنه نبي الله ورسوله. وعارضته أقوال أعدائه من الإنس والجن أو أقوال قليلة نسبت إليه أنه قالها. فلا شك في هذه الحالة أن المرجح هو أقواله الكثيرة الصريحة التي يكررها لأن التكرار دليل على أهمية ما يكرره ووجوب الأخذ به لا بما سواه.

٢- وصفه نفسه في الأناجيل بأنه مرسل من ربه. فقد تجاوزت عدد المرات التي وصف فيها المسيح نفسه بالرسالة أربعين مرة، فما سر هذا التكرار لهذه الصفة كما تكررت صفة ابن الإنسان لغاية مقصودة؟ وهاتان الصفتان يصف بهما المسيح نفسه أكثر من وصفه نفسه بأية صفة أخرى في هذه الأناجيل.

إن المسيح عليه السلام قد بلغ البلاغ المبين، ولم يترك لأحد من شياطين الجن والإنس منفذا ينفذون منه إلى قدسية العقيدة وطهرها بحيث لا عذر لمن ضل بعد هذا البيان الكافي والإعلان الوافي.

٣- مخالفة ما أخذوا به واعتقدوه ما جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من ثوابت الدين التي لا تتغير ولا تتبدل بتغير الأزمنة والأمكنة. فكون ربنا تبارك وتعالى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له شريك في الخلق والتدبير، ولا في العبادة التي شرعها على ألسنة رسله من ضرورات دين الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وليس ابن مريم إلا حلقة من سلسلة الرسل العظام، ولم يدع إلا إلى ما دعا إليه من قبله ولهذا قال لقومه كما روت عنه الأناجيل وشهدت به على من غيروا دين الأنبياء واستبدلوا عقيدة التثليث بعقيدة التوحيد: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٣].

المطلب الخامس: رسالة المسيح إصلاحية وليست نصرانية:

كانت رسالة موسى عليه السلام رسالة عامة لبني إسرائيل منذ أن بعثه الله تعالى وأنزل عليه التوراة إلى أن جاءت الرسالة الخاتمة وهي رسالة محمد ﷺ فنسخ الله ببعثه جميع الشرائع المنزلة قبله بما في ذلك شريعة موسى عليه السلام. أما قبل مبعث النبي ﷺ فكان كل رسول في بني إسرائيل بعد موسى مأمورا أن يعمل بشريعة التوراة التي

أنزلت على موسى عليه السلام بما فيهم عيسى ابن مريم عليه السلام. ففي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤].

ولم يكن المسيح عليه السلام إلا واحدا من أولئك الرسل الكرام الذين يحكمون بالتوراة. فلما بعثه الله تعالى بين عليه السلام أنه إنما جاء مصدقا لما بعث به موسى عليه السلام ومؤكدا له لا ناسخا، سوى بعض الأحكام التي فرضها الله على اليهود بسبب ظلمهم من قبل، فقد خففها الله عليهم بأن أحل لهم بعض ما حرم عليهم من قبل، وفي ذلك قال الله عز وجل: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وقد أكد المسيح عليه السلام هذه الحقيقة فيما روت عنه الأناجيل حيث نسبوا إليه أنه قال: " لا تظنوا أني جئت لأنقص الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقص بل لأكمل "(١).

أي إنه ما جاء ناسخا وإنما جاء مصلحا ومجددا لما أفسده اليهود من دين الأنبياء بالتحريف والتبديل، وبهذا يعلم أن الدين الذي دعا إليه عيسى عليه السلام هو نفس الدين الذي دعا إليه موسى عليه السلام، وليس هناك دينان متغايران اسماً ومسمى. أما اسماً فلأن الدين عند الله الإسلام. وأما مسمى فلأن العقيدة التي دعا إليها المسيح هي نفس العقيدة

---

(١) متّى ٥: ١٧.

التي دعا إليها موسى قبله، وسار عليها الأنبياء من بعده في بني إسرائيل، وقتل الكثير منهم من أجل الدعوة إليها. وكذلك الشريعة من عبادات ومعاملات هي نفس شريعة موسى عليه السلام.

ولو جاء المسيح ناقضاً وناسخاً لشريعة موسى لما قال: "ما جئت لأنقض" وأي نقض للناموس والأنبياء أعظم من ادعاء النصارى أنه ابن الله وأنه إله؟وهذا من أعظم النقض للناموس والأنبياء فإنهم ما دعوا إلا إلى التوحيد الخاص. فبه جهر موسى عليه السلام حين قال مخبراً عن ربه سبحانه:

"أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور"[١].

وإلى هذا دعا المسيح عليه السلام حيث قال فيما روى عنه النصارى:

"للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد"[٢].

فكيف يزعم النصارى أنه دعا إلى عبادة نفسه مناقضاً شريعة موسى ومن قبله من الأنبياء الذين يقول الله عز وجل

---

(١) تثنية ٥: ٦-٩.

(٢) متّى ٤: ١٠.

فيهم: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠].

وهذا مبدأ لا يتغير ولا يتبدل بتبدل الزمان والمكان. فالعقائد لا تنسخ ولا تبدل. فالرب هو الإله المعبود وحده والبشر عبيد لا حظ لهم في الألوهية. والمسيح واحد من البشر ولم يكن بدعاً من الرسل فلا ألوهية ولا شيء من صفات الألوهية فيه.

المبحث الرابع:
روايات الأناجيل في القبض على المسيح وصلبه وقيامته

المطلب الأول: روايات الأناجيل لقصة المصلوب وتناقضها فيها:

روى متَّى ولوقا ومرقس أن الذي حمل الصليب ليلة الصلب المزعوم رجل اسمه سمعان فيقول في ذلك متَّى: "وفيما هم خارجون رأوا إنسانا قيروانيا اسمه سمعان فسخروه لحمل صليبه"[1] هذا ما تتفق عليه الأناجيل الثلاثة وأما يوحنَّا فيقول: "فأخذوا يسوع ومضوا به، فخرج وهو حامل صليبه"[2].

هذا تناقض صارخ في هذه القصة. ومع أننا لا نشك أن الذي صلب لم يكن عيسى عليه السلام فإن تصحيح الروايتين معا حسب ما يؤمن به النصارى لا يعقل، لأن تصحيحهما ينتج أن الذي حمل الصليب هو المسيح وليس هو المسيح، أو هو سمعان وليس هو سمعان، فهل يقول بهذا عاقل؟ إذا كان الذي حمل الصليب هو سمعان كما روته الأناجيل الثلاثة، فلم لا يكون هو المصلوب وليس المسيح؟! ولقد ذهبت إلى هذا القول قديما فرقة الدوسيت االنصرانية. ذكر ذلك الأب فرنسيس فربيه[3].

---

(١) متّى ٣٣-٢٧.

(٢) يوحنّا ١٩: ١٦-١٧.

(١٩٠) التجسيد لفرنسيس فربيه ص٣٠.

وهنا أمر يجب أن يوجه إليه نظر الباحثين المنصفين وهو أن المسيح عليه السلام حسب رواية بعض الأناجيل كان يعرض على تلاميذه القيام بالفداء عنه وذلك ما يستشف من قوله المروي عنه عند متَّى : " إن أراد أحد أن يأتي وراءي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها لأنه ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى الإنسان فداءا عن نفسه "(١) .

فالأمر بحمل الصليب في تلك الساعة الحرجة التي كان اليهود يريدون القبض عليه فيها إشارة إلى تشجيع أتباعه أن يفديه أحدهم . فقد يكون قد تم ذلك فعلا بعد أن ألقى الله شبهه عليه .

المطلب الثاني: تنافر الروايات فيما قاله الحاضرون له عند الصلب المزعوم:

روى متَّى أن الذين يجتازون مكان صلبه كانوا يقولون له وهو على الصليب :

" يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب " وكذلك رؤساء الكهنة أيضا وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا : خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها . إن كان هو ملك

(١) متَّى ١٦ : ٢٤-٢٦ ، وانظر مرقس ٨ : ٣٦-٣٧ .

إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به . قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده لأنه قال أنا ابن الله "[1] .

وأما مرقس فيروي خلاف هذا حيث يقول : " وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين : يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك وانزل عن الصليب . وكذلك رؤساء الكهنة وهم مستهزئون فيما بينهم مع الكتبة قالوا : خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها لينزل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب لنرى ونؤمن "[2] .

فبينما نرى متَّى يذكر أن المجتازين يستهزئون به قائلين : إن كنت ابن الله ، نرى مرقس يروي أنهم يقولون : لينزل المسيح ملك إسرائيل ، ولم يذكر أنهم كانوا يقولون إن كنت ابن الله كما روى متَّى فبين الروايتين تنافر جلي لأن أحد القولين ليس أولى بالذكر أو الإهمال إن كانا صدرا جميعا أو بالذكر إن لم يكونا صدرا منهم .

وأما لوقا فقد كانت روايته تخالفهما في ذكر عبارة " وصف المسيح بأنه مختار الله ، وفيما عداها تكون روايته قريبة من رواية مرقس . يقول لوقا : " وكان الشعب واقفين ينظرون . والرؤساء أيضا معهم يسخرون به قائلين خلص آخرين فليخلص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله . والجند أيضا استهزأوا به وهم يأتون ويقدمون له خلا قائلين :

---

(١) متّى ١٦ : ٢٤-٢٦ ، وانظر مرقس ٨ : ٣٦-٣٧ .
(٢) مرقس ٢٧ : ٤٠-٤٣ .

إن كنت أنت ملك اليهود فخلص نفسك "[1].

فرواية لوقا ذكرت أن الرؤساء والحاضرين من المارة قالوا وهم يسخرون إن كان هو المسيح مختار الله والجنود يقولون: إن كنت أنت ملك اليهود. فيظهر بينها وبين رواية متَّى التنافر والتخالف فتلك صرحت بأنهم قالوا له: إن كنت ابن الله، وروايتا مرقس ولوقا لم تذكر أنهم قالوا له إن كنت المسيح أو ملك اليهود فأي هذه الروايات صحيح في معيار العقل؟

المطلب الثالث: إجابة المسيح الحاكم الروماني بيلاطس:

روى متَّى ولوقا ومرقس أن بيلاطس سأل المسيح عليه السلام حينما أُتيَ به إلى دار الولاية بعد القبض عليه قائلا:

" أأنت ملكَ اليهود؟ فأجابه بقوله: أنت تقول. فلما اشتكى عليه رؤساء الكهنة والشيوخ لم يجب بشيء ولما كرر الوالي السؤال عليه قائلا: أما تسمع كم يشهدون عليك؟ فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة "[2].

وأما يوحنَّا فيروي أن المسيح عليه السلام أجاب بيلاطس قائلا: " أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني؟ أجابه بيلاطس: ألعلي أنا يهودي؟ أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليّ ماذا فعلت؟ أجاب يسوع: مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي في هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا. فقال له بيلاطس: أفأنت إذا ملك؟ أجاب

---

(١) لوقا ٢٣: ٣٥-٣٧.

(٢) متّى ٢٧: ١١-١٤، مرقس ١٥: ٢-٥، لوقا ٢٣: ٣-٩.

يسوع : أنت تقول إني ملك . لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق كل من هو من الحق يسمع صوتي "[١] .

هكذا اختلفت الروايات في هذه القصة أيضا ففي الأناجيل الثلاثة الأولى أن المسيح لم يجب بشيء سوى قوله : أنت تقول . أما يوحنَّا فيورد هذه الإجابة المفصلة عن سؤال بيلاطس فأي الروايتين يصحح النصارى؟ أما صحتها معا فأمر غير مقبول أو معقول .

المطلب الرابع: في ذكر متَّى لجلد المسيح وعدم ذكر غيره:

ومن الاختلافات التي تلاحظ في الأناجيل في الأحداث المهمة مسألة جلد المسيح على يد الحاكم الروماني قبيل تسليمه للصلب حيث يقول متَّى : " حينئذ أطلق لهم باراباس . وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب "[٢] .

وأما الأناجيل الباقية فلم تذكر شيئا من هذا الأمر المهم . هل جلد المصلوب حقا؟ أو لم يجلد؟ فإذا جلد كما يقول متَّى ، فلماذا لم تذكر هذا الأناجيل الثلاثة؟ وإذا لم يجلد فلماذا ذكر متَّى أنه جلد؟ ألأنَّ هذا الحدث حدث غير مهم؟ أم لأنه لم يقع؟ فالسؤال مطروح فليجب المنصفون إجابة منصفة فيها دلالة الحائرين على الحق[٣] .

---

(١) يوحنَّا ١٨ : ٣٤-٣٧ .

(٢) متَّى ٢٧ : ٢٦ .

(٣) قد يقول قائل : إن ذكر بعض الأناجيل ما أغفله البعض منها ليس فيه تناقض لأن الذي ذكر فصل في الرواية وأسهب ، واقتصر الآخرون على الإيجاز فتركوا بعض الأمور ؛ قيل : إن هذه الأمور التي ذكرها البعض وأغفلها الآخرين من الحوادث العظام التي لا ينبغي أن تهمل لخطورتها وعظم شأنها لو وقعت كما ذكر من ذكر .

المطلب الخامس: تناقض الأناجيل في رواية قول اللصين له:

يروي متَّى ومرقس أن لصين صلبا مع المسيح حسب زعمهما، وأن اللصين اللذين صلبا على جانبيه كانا يعيرانه. فيقول في ذلك مرقس: "وصلبوا معه لصين واحد عن يمينه وآخر عن يساره... واللذان صلبا معه كانا يعيرانه" [(١)].

ويقول متَّى: "وبذلك أيضا كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه" [(٢)].

وأما لوقا فيقول في روايته: "وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلا: إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا. فأجاب الآخر وانتهره قائلا: أولا أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه" [(٣)].

وهذا تناقض جلي في رواية هذه القصة، فاللصان في رواية متَّى ومرقس كانا يعيرانه، وأما في رواية لوقا فإن أحدهما كان يعيره والآخر ينهاه عن ذلك مذكرا له أنه تحت هذا الحكم بعينه وأنه ينبغي أن يخاف الله ويزيد على ذلك قوله: "أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا، وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس في محله".

---

(١) مرقس ١٥: ٢٧-٣٢.
(٢) متّى ٢٧: ٤٤.
(٣) لوقا ٢٣: ٣٩-٤٠.

المطلب السادس: خروج الموتى من قبورهم وعودتهم إلى المدينة عند موت المصلوب:

روى متَّى في إنجيله أن الأرض تزلزلت بعد صلب المسيح المزعوم وتشققت القبور وتفتحت، وقام كثير من الموتى من قبورهم، ودخلوا المدينة وظهروا لكثيرين. وهذا نص رواية متَّى في ذلك: "فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح. وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين. وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين "[(١)].

أما الأناجيل الباقية فلم تذكر الزلزلة وما تبعها من تشقق الصخور، وتفتح القبور، وخروج الموتى. فلماذا انفرد متَّى من بينهم بذكر هذه الحادثة العجيبة الغريبة التي ينبغي أن يرويها الخاصة والعامة لشهرتها؟

وكيف لم تكن هذه الحالة الكبرى آية حملت الناس حملا على الإيمان بالمسيح إيمانا جماعيا؟ وكيف لم يتب اليهود من معاداتهم له مع ظهور تلك المعجزة الباهرة؟

ثم إن ما يقوله النصارى من كتابة الأناجيل بالإلهام يظهر للقارئ المتأمل عدم صحته في اختلاف هذه الأناجيل. فعلى المنصفين ممن يريدون الاهتداء إلى الحق بما منحهم الله من

---

(١) متّى ٢٧ : ٥٠-٥٣.

العقل الصحيح أن يتقوا الله في دينهم ويعيدوا النظر في هذه الأمور التقليدية التي لا تثبت أمام براهين العقل الصريح والنقل الصحيح.

المطلب السابع: الروايات الأناجيلية[1] المنافية للصلب:

لقد اضطربت روايات الأناجيل الأربعة فيما يتعلق بحياة المسيح مع تلاميذه قبل حادثة الصلب المزعومة وأثناءها وبعدها اضطرابا عجيبا. ولا تكاد تتفق رواياتها في كثير من الأمور المهمة التي اقترنت بتلك الفترة مما يجعل القارئ يقطع بأن الصلب وما اقترن به لم يكن صحيحا مطلقا. ويتضح ذلك فيما يأتي:

المطلب الثامن: ليلة الشك الأكبر

المسيح يبلغ تلاميذه أنهم جميعا يشكون فيه تلك الليلة:

روت الأناجيل الثلاثة أن المسيح عليه السلام أخبر تلاميذه في الليلة الأخيرة أنهم جميعا يشكون فيه في تلك الليلة وإليك رواياتها حكاية عما قال لهم:

يقول متَّى: "كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة"[2].

ويقول مرقس: "إن كلكم تشكون فيّ هذه الليلة"[3].

ويقول لوقا: "سمعان سمعان هو ذا الشيطان طلبكم

---

(١) الأناجيلية: نسبة إلى الأناجيل، وإشارة إلى أن للنصارى أناجيل عديدة، والإنجيل المطلق هو الإنجيل المنزل.

(٢) متّى ٢٦: ٣١.

(٣) مرقس ١٤: ٢٧.

لكي يغربلكم كالحنطة . . . أقول لك يا بطرس لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات أنك تعرفني "[1].

أما يوحنَّا فإنه روى أيضا أن بطرس أنكر المسيح ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك وإن لم يذكر قول المسيح كلكم تشكون فيَّ.

ما حقيقة هذا الشك؟

هل المراد بالشك المذكور الشك في شخصيته بحيث يكون هناك تشابه بينه وبين غيره؟ أو أنه شك في مصيره بحيث لا يعلم أحد ما آل إليه أمره؟ أو أنه إنكار معرفته من قبل التلاميذ؟

أما الشك في شخصيته بإلقاء شبهه على غيره فأمر في غاية الاحتمال. ويقوي هذا الاحتمال قول الله عز وجل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] ثم تأكيد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] والقرآن الكريم قد أكد أن جميع المختلفين فيه لم يكونوا على يقين من أمره لا محبوه، ولا أعداؤه، لأن المختلفين فيه هم هؤلاء جميعا.

وأما الشك في مصيره فيكون مرتبطا بالشك في شخصيته وناتجا عنه لأن التشابه بينه وبين من ألقى عليه شبهه يجعلهم في شك من هوية المصلوب أهو المسيح أم غيره؟

---

(١) لوقا ٢٢: ٣١-٣٤.

وأما حمل الشك فيه على إنكار معرفته من قبل تلاميذه كما جرت عليه روايات الأناجيل كلها فأمر في غاية البعد لأن الشك فيه لا يعني إنكار معرفته من قبل بعض التلاميذ لما يأتي :

أولاً : روت الأناجيل الأربعة أن الذي أنكر معرفة المسيح ثلاث مرات في تلك الليلة هو بطرس وليس غيره من التلاميذ . فالرواية عن المسيح جاءت على سبيل التعميم والتأكيد بقوله : كلكم تشكون فيّ هذه الليلة ، ولم ينكره الكل ولكن أنكره بطرس فقط .

ثانياً : المنكر في حالة الخوف لا يقال له شاك ما دام إنكاره معرفة المسيح خوفا من أعدائه فيكون الشك أمراً غير الإنكار وهو الشك في هوية من صلب ومصير المسيح عليه السلام .

ثالثاً : لو حمل الشك على الإنكار مع بعده لاقتضى ذلك أن يكون التلاميذ الآخرون حاضرين مع بطرس عند إنكاره لمعرفة المسيح . فالروايات الأناجيلية متضاربة في ذلك . أما رواية متَّى فقد جاء فيها : " حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا " [١] .

ويقول مرقس : " فتركه الجميع وهربوا " [٢]

وأما لوقا فلم يذكر هرب التلاميذ .

---

(١) متّى : ٢٦ : ٥٦ .

(٢) مرقس : ١٤ : ٥٠ .

وأما يوحنَّا فيقول على لسان المسيح: "فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون"(١).

هذه الروايات المختلفة تدل على أن تلاميذ المسيح هربوا جميعا عند القبض عليه تاركين إياه فكيف يكونون على يقين من أمره عليه السلام وقد هربوا جميعا كما تقول الروايات؟

والغريب في الأمر أن الأناجيل الأربعة مجمعة على أن بطرس قد تبع المسيح بعد القبض عليه غير أن متَّى ومرقس ولوقا نصوا على أنه تبعه من بعيد والتابع من بعيد لا يتبين له حقيقة الأمر لبعده، ويؤكد هذا الأمر كون الوقت ليلاً وفي الليل يصعب تبين الأمور القريبة فكيف بالبعيدة؟ ويذكر يوحنَّا أن تلميذاً آخر كان مع بطرس ويعني به نفسه. وهذا مما يقوي الشك في مصيره عليه السلام.

وكون بطرس متابعاً للمسيح ولو كان من بعيد أمرٌ في غاية البعد وذلك لما روته الأناجيل الأربعة أن واحداً من التلاميذ استل سيفه عند القبض عليه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه. وصرح يوحنَّا بأن الذي فعل ذلك هو بطرس. كيف حصل ذلك كله أمام اليهود والرومان الذين جاءوا للقبض عليه ثم لا يعرفونه بعد رؤيته في دار رئيس الكهنة؟ كيف لم يقبض عليه بعد تلك الحادثة وقد قبض على من هو أعظم منه بما لا يعتبر جرماً إلا في نظر المجرمين؟

---

(١) يوحنا: ١٨: ٨.

المطلب التاسع: هل تم تقبيل يهوذا الأسخريوطي المسيح؟

يقول متَّى في روايته عن تقبيل يهوذا المسيح: " فللوقت تقدم إلى يسوع وقال السلام يا سيدي وقبله "[1].

ويقول مرقس أيضاً: " فجاء للوقت وتقدم إليه قائلاً يا سيدي يا سيدي وقبله "[2].

وأما لوقا فيقول: " فدنا من يسوع ليقبله فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الإنسان "[3].

ومعنًى رواية لوقا أن يهوذا أراد أن يقبله ولم يقبل لأن المسيح بادره بقوله أبقبلة تسلم ابن الإنسان. وأما يوحنَّا فتقول روايته: " فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم: من تطلبون أجابوه يسوع الناصري قال لهم يسوع أنا هو "[4].

رواية يوحنَّا تدل على أنه لم يحصل القبض عليه بإشارة من يهوذا أو غيره وإنما المسيح بنفسه أعلن لهم أنه هو فقبضوا عليه حينما سلم نفسه. ومعنى هذا أن يهوذا ليس له علاقةٌ بالقبض عليه.

وهذا التضارب في روايات الأناجيل يجعل القارئ يدرك أن الموضوع من أساسه غير صحيح. إذ كيف يمكن أن يجمع بين الروايتين المتصارعتين؟.

---

(١) متّى ١٦: ٢١.
(٢) مرقس: ٨: ٣١.
(٣) لوقا: ٩: ٢٢.
(٤) يوحنا: ٢٠: ٩.

المطلب العاشر: هل التلاميذ يعرفون ما سيجري للمسيح؟

تضاربت روايات الأناجيل كعادتها في معرفة التلاميذ بما سيجري للمسيح من القتل والصلب والقيام من القبر حسب اعتقاد النصارى.

يقول متَّى حكايةً عن المسيح عليه السلام: "ويُقتل وفي اليوم الثالث يقوم"(1).

ويقول مرقس: "ويُقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم"(2).

ويقول لوقا: "ويُقتل وفي اليوم الثالث يقوم"(3).

هذه الروايات الثلاثة متقاربة في المعنى إلا في تحديد القيام في اليوم الثالث كما يقول لوقا ومتَّى أو بعده كما يقول مرقس. ويُفهم من هذا أن التلاميذ عندهم علمٌ بما سيكون من أمره من موت وقيام.

وأما يوحنا فيقول في روايته: "لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغي أن يقوم من الأموات"(4).

ومعنى رواية يوحنَّا أن تلاميذ المسيح ما كانوا على علمٍ بأن المسيح سيقوم من القبر بعد دفنه بثلاثة أيام مع أن ذلك مذكورٌ في الأناجيل الثلاثة أنهم أخبروا من قبل المسيح بالأمر قبل أن يكون.

---

(1) يمتّى ١٦ : ٢١.
(2) مرقس ٨ : ٣١.
(3) لوقا ٩ : ٢٢.
(4) يوحنَّا ٢٠ : ٩.

المطلب الحادي عشر: هل خنق يهوذا الأسخريوطي نفسه ندماً؟

ينفرد متَّى في إنجيله برواية أن يهوذا ندم على تسليم المسيح فأعاد الفضة التي أخذها من اليهود ثم خنق نفسه وذلك حيث يقول:

حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة. . . ثم مضى وخنق نفسه "[1].

أما بقية الأناجيل فلم تشر إلى ذلك مطلقاً. كيف وقع هذا الأمر المهم جداً ولم تذكر الأناجيل الثلاثة مع أهميته ودلالته على انتحار الظالم ندماً على ظلمه. وهذا أيضاً مما يضاف من الشكوك إلى روايات الأناجيل في حادثة المصلوب. بل الظاهر من الروايات أن يهوذا لم يسلم المسيح كما سبق.

المطلب الثاني عشر: ساعة الصلب:

لم يذكر متَّى في انجيله متَّى كان الصلب من أوقات النهار وكذلك لوقا لم يذكر ذلك. ولكن مرقس ويوحنَّا ذكرا في أي ساعة تم الصلب فاختلفا في ذلك.

أما عند مرقس فقد كان الصلب في الساعة الثالثة إذ يقول:

" وكانت الساعة الثالثة فصلبوه "[2].

---

(١) متّى ٢٧ : ٣-٥.
(٢) مرقس ١٥ : ٢٥.

وأما يوحنَّا فيذكر أن ذلك كان في الساعة السادسة وذلك إذ يقول:

وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة... فحينئذ أسلمه إليهم ليصلب فأخذوا يسوع ومضوا به... حيث صًلبوه وصلبوا اثنين آخرين معه "[1].

فشتان بين أن يكون الصلب في الساعة الثالثة وبين أن يكون في الساعة السادسة فالفرق بينهما كبير وهذا مما يضيف الشك والحيرة والاضطراب في قصة المصلوب.

المطلب الثالث عشر: إلقاء النوم على التلاميذ يؤكد الشك:

روت الأناجيل أن المسيح عليه السلام طلب من التلاميذ بإلحاح أن يصلوا تلك الليلة ويسهروا معه ولكنهم لم يفعلوا لأن النوم قد غلبهم ولم يستطيعوا مقاومته وفي ذلك يقول متى:

" فقال للتلاميذ اجلسوا هاهنا حتى أمضي وأصلي هناك... وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت. امكثوا هاهنا واسهروا معي ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت. ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً فقال لبطرس أ هكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة. اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا

---

(١) يوحنَّا ١٩ : ١٤-١٨.

في تجربة أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف فمضى أيضاً ثانية وصلى قائلاً يا أبتاه إن لم يكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك . ثم جاء فوجدهم أيضاً نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة فتركهم ومضى أيضاً وصلى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه . ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم ناموا الآن واستريحوا هو ذا الساعة قد اقتربت "(١) .

وأما مرقس فيأتي في روايته أيضاً بما يؤيد رواية متى حيث يقول :

" فقال لتلاميذه اجلسوا هاهنا حتى أصلي وابتدأ يدهش ويكتئب . فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت امكثوا هاهنا واسهروا . ثم تقدم قليلاً وخر على الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن . وقال يا أبا الآب كل شئ مستطاع لك فأجز عني هذه الكأس ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت . ثم جاء ووجدهم نياماً فقال لبطرس يا سمعان أنت نائم أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف . ومضى أيضاً وصلى قائلاً ذلك الكلام بعينه . ثم رجع ووجدهم نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبون . ثم جاء ثالثة وقال لهم ناموا الآن واستريحوا يكفي قد أتت الساعة "(٢) .

---

(١) متّى ٢٦ : ٣٦-٤٦ .

(٢) مرقس ١٤ : ٣٢-٤١ .

وكذلك روى لوقا رواية قريبة من الروايتين في المضمون حيث قال: "قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة. وانفصل عنهم رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلاً يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك... ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن فقال لهم لماذا أنتم نيام قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة"[1].

أما يوحنا فلم يورد شيئاً من صلاته تلك ولا من نوم تلاميذه. وهذا النوم الثقيل الذي ألقي على التلاميذ في تلك الليلة كما في روايات متى ومرقس ولوقا يدل على أن التلاميذ لم يكونوا يعرفون شيئاً عما جرى للمسيح عليه السلام لأن الله سلط عليهم نوماً ثقيلاً لم يستطيعوا دفعه. ولو أن إنساناً محبوباً لدى جماعة من الناس يريد سفراً طويلاً يفارقهم خلاله لما جاء محبيه النوم، ولكن الذي جرى للتلاميذ أمر فوق العادة مع أن المسيح يتردد إليهم ويطلب منهم أن يسهروا معه ويعاتبهم على عجزهم السهر معه ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً. وذلك يؤكد أن أقرب الناس إليه وأخلصهم لدعوته لم يكونوا على يقين من أمره. فمن الذي شهد القبض عليه وصلبه؟! نعم إنهم لفي شك منه. وإنهم شكوا فيه جميعاً تلك الليلة. وتلك الليلة هي أم الليالي.

---

(١) لوقا ٢٢: ٤٠-٤٦.

رواية لوقا تنفرد بذكر أمرين خارقين للعادة:

روى لوقا في سرده قصة صلاته بإيجاز حادثتين تعتبر كل منهما من الأمور الخارقة للعادة وهما:

١- أن المسيح كان في صلاته ثم صار له عرق كقطرات دم نازلة على الأرض. "وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض" [١].

٢- أن ملكاً من السماء ظهر للمسيح ليقويه وهو يصلي: "وظهر له ملاك من السماء يقويه" [٢].

إن هاتين الحادثتين على غرابتهما وكونهما فوق العادة لم يروهما غير لوقا من أصحاب الأناجيل. ما معنى هذا؟ أفلا يزيد هذا أيضاً الشك في رواية الأناجيل لقصة الصلب.

المطلب الرابع عشر: تضارب الروايات في عدد النسوة اللاتي زرن القبر:

تضاربت روايات الأناجيل في ذكر عدد النسوة اللاتي قمن بزيارة القبر في اليوم الثالث من الصلب حسب قولهم.

يقول متى: "وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظر القبر" [٣]. في هذه الرواية امرأتان قامتا بالزيارة وكل واحدة منهما تدعى مريم والغرض من الزيارة رؤية القبر.

ويقول مرقس: ولما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهنه وباكرا في

---

(١) لوقا ٢٢: ٤٤.
(٢) لوقا ٢٢: ٤٣.
(٣) متّى ٢٨: ١.

أول الأسبوع أتين إلى القبر "[1]. وفي هذه الرواية ثلاث نسوة بزيادة سالومة والهدف من المجيء دهن الميت بالحنوط.

ويقول لوقا: "وتبعته نساء كن قد أتين معه من الجليل ونظرن القبر... فرجعن وأعددن حنوطاً وأطياباً... ثم في أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه ومعهن أناس "[2]. وهذه الرواية تجعل العدد أكثر بكثير بل تجعل مع النسوة أناساً أيضاً.

وأما يوحنا فيقول في روايته: "وفي أول الأسبوع أتت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باق "[3].

وهذه الرواية تقصر المجيء على مريم المجدلية وذلك مما يضيف الشك في قضية المصلوب وعدم صحة أية رواية تفيد أن المسيح قد صلب. ولتضارب هذه الروايات اختلفت الآراء في هوية المصلوب ووقوع الصلب.

المطلب الخامس عشر: من الذي دحرج الحجر عن القبر؟

اختلفت الروايات في موضوع الحجر الذي سد به القبر المزعوم أنه قبر المسيح من الذي دحرجه؟ هل نزل ملك من السماء ودحرجه؟ أو وجد الحجر مدحرجاً ولم يعرف من دحرجه هذا كله ما تفيده روايات الأناجيل المختلفة.

يروي متى أن ملكاً نزل من السماء ودحرج الحجر

---

(١) مرقس ١٦: ١-٢.

(٢) لوقا ٢٣: ٥٥-٥٦ و ٢٤: ١.

(٣) يوحنا ٢٠: ١.

بعد حدوث زلزلة عظيمة : " وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه "[1].

وأما لوقا فيروي أن النسوة وجدن الحجر قد دحرج : " فتطلعن ورأين الحجر قد دحرج "[2].

وكذلك يقول لوقا : " فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر "[3].

وكذلك يوحنا : " فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر "[4].

هكذا اختلفت الروايات في هذه القضية وهذا مما يضيف تأكيد الشك في موضوع الصلب برمته . إن متى ينفرد بذكر زلزلة عظيمة حدثت ونزول ملك من السماء قام بدحرجة الحجر عن القبر وهذا أمر من الخوارق ينبغي أن يذكره الجميع لاقترانه بهذا الأمر التاريخي الذي تتعلق به أمور الدين الأساسية . وعدم ذكره عند الآخرين يدل على عدم حصوله .

المطلب السادس عشر: من الذي ظهر للنسوة عند القبر؟

اختلفت الروايات في الأناجيل في عدد من ظهر للنسوة عند القبر وهويته أشخص واحد أم أكثر من واحد؟ أملك أم بشر؟

أما متى فكما سبق يروي أن ملاكاً نزل من السماء فدحرج الحجر وجلس عليه وهو الذي ظهر للنسوة في روايته[5].

---

(١) متّى ٢٨ : ٢ .
(٢) مرقس ١٦ : ٤ .
(٣) لوقا ٢٤ : ٢ .
(٤) يوحنًا ٢٠ : ١ .
(٥) متّى ٢٨ : ٢ .

وأنا مرقس فيروي أن النسوة رأين شاباً جالساً عن اليمين[1].

وأما لوقا فيروي أنهن رأين رجلين[2].

وأما يوحنا فيذكر أن مريم رأت ملاكين جالسين أحدهما عند الرأس والآخر عند الرجلين[3].

المطلب السابع عشر: تمحيص لفكرة الصلب من أجل الفداء في وقفات

يعتقد النصارى كما سبق ذكره أن المسيح قد صلب، وأن صلبه تم تحقيقا لما جاء من أجله، وهو تكفير الخطيئة وتبعاتها عن بني آدم حيث سرت تلك الخطيئة الأولى التي وقعت من أبيهم آدم إلى ذريته، فأراد الرب محوها بمقتضى رحمته، ولكن عدالته اقتضت أن تكون عقوبة على الخطيئة، فلما تعارضت الصفتان صفتا الرحمة والعدالة، رأى الرب أن ذلك يتطلب أن يضحي بابنه الوحيد بعد أن ينزل ويتجسد في بطن مريم، ويولد منها، وقد اجتمعت فيه صفتا الناسوت واللاهوت، أي الإنسانية والألوهية، فقدم نفسه للصلب فداء لذرية آدم وتكفيرا لخطاياهم الموروثة، فمحيت بذلك الفداء تلك الخطيئة. هذه خلاصة ما زعموه واعتقدوه في الصلب الذي كانوا في شك من وقوعه كما مضى ذلك قريبا.

الوقفة الأولى:

من أين لهم أن خطيئة الوالد تسري في الأولاد؟ ألم

---

(١) مرقس ١٦ : ٥.
(٢) لوقا ٢٤ : ٤.
(٣) يوحنّا ٢٠ :١١.

يقرأوا في الكتب التي في أيديهم أن الله تعالى لا يؤاخذ أحدا بذنب ارتكبه غيره. وفي ذلك جاء في سفر التثنية أن الله تعالى أوصى بني إسرائيل قائلا: "لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل"[١].

وعلى هذا كان العمل جاريا في بني إسرائيل في عصر الملوك كما ورد ذلك في سفر الملوك الثاني حيث قال: "ولكنه لم يقتل أبناء القائلين حسب ما هو مكتوب في سفر شريعة موسى حيث أمر الرب قائلاً: "لا يقتل الآباء من أجل البنين والبنون لا يقتلون من أجل الآباء، إنما كل إنسان يقتل بخطيئته"[٢]. وهكذا ورد تأكيد هذا الحكم، في سفر أخبار الأيام الثاني[٣]. وجاء كذلك ما يقوي هذا المعنى في سفر أرميا[٤] أيضاً.

ومع أن العقل السليم والنصوص الصحيحة لا تحكم إلا بهذا، فإن النصارى يخالفون الشرع والعقل ويقولون بمؤاخذة البريء بذنب غيره. ولقد جاء في كتاب الله تعالى بيان أن هذا الحكم ثابت في صحف إبراهيم وموسى حيث قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٦ - ٣٨]. فمن أين للنصارى أن خطيئة آدم سرت في ذريته كالأمراض الوراثية

(١) تثنية ٢٤: ١٦.
(٢) الملوك الثاني ١٤: ٦.
(٣) ٢ أيام ٢٥: ٤.
(٤) أرميا ٣١: ٢٩-٣٠.

وهم يحملون أسفاراً تشهد بخلاف هذه العقيدة؟

الوقفة الثانية:

إن الله تعالى يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، والذنب الذي لا يغفره الله تعالى إن مات عليه الجاني بلا توبة منه هو الكفر. وأما ما دون الكفر فهو تحت مشيئته عز وجل، فيغفر لمن شاء ما شاء إذا لم يتب، أما إن تاب مستوفياً لشروط التوبة، فإنه تعالى يقبل توبته فضلاً ومنه وكرماً. فمن شاء من أهل المعاصي ممن لم يتب منها عامله بالفضل ومحا عنه ذنوبه برحمته، ومن شاء منهم عامله بالعدل بأن يعاقبه على قدر ذنبه الذي هو دون الكفر. وأما أن يكون بين صفتي الرحمة والعدل تعارض لا يزول إلا بأن يقدم الرب ابنه الوحيد -حسب زعمهم- ذبيحة فداء، فذلك مالا يقره العقل والنقل.

الوقفة الثالثة:

إن الله تعالى لم يبق على آدم أثر الخطيئة، فقد تاب آدم عليه السلام وزوجه مما اقترفا، وتاب الله تعالى عليهما. قال الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، وقال: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

هكذا محيت خطيئة الوالدين الكريمين عنهما ولم يبق

بعد ذلك من أثر تلك الخطيئة شيء عليهما، فكيف تنتقل معصية الأبوين إلى الذرية وهما قد خلصا من تلك المعصية بالتوبة النصوح؟

الوقفة الرابعة:

لو فرضنا جدلاً أن تلك الخطيئة قد سرت في ذرية آدم، فلم لم يبين الأنبياء ذلك بياناً وافياً بمن فيهم عيسى ابن مريم عليه وعليهم الصلاة والسلام؟ هل سبب سكوتهم عن بيان ذلك راجع إلى أنهم لم يعلموا ذلك؟ أو أنهم علموا وسكتوا؟ فإن لم يعلموا هم مع أن وحي الله تعالى يأتيهم ومنهم من كلمه الله، فمن أين لكم هذا العلم الذي خفي على الأنبياء يا هؤلاء؟ وهل تعتقدون أنكم أعلم منهم؟ إن قلتم إنكم أعلم من الأنبياء فذلك كفر وإفك مبين. وإن علموا فإما أن يكونوا قد بلغوا أممهم بذلك. وإما إنهم لم يبلغوا ذلك، فإن بلغوا إلى أممهم ففي أي كتاب ثبت عنهم أنهم بلغوا ذلك إلى أممهم؟ ومن الذي بلغ أمته منهم؟ فإن لم يبلغوا فمن أين لكم العلم بما لم يبلغوا أممهم؟ وأي وحي لم يأت الأنبياء جاءكم فأطلعكم على ما لم يطلعوا عليه؟ ثم إنهم كيف يكتمون أمراً أوحاه الله إليهم؟

الوقفة الخامسة:

فكم من مذنب وعاص لله بعد آدم عليه السلام بما هو أعظم من معصيته غفر الله له من غير أن يسري ذنبه في ذريته

بالوراثة كما زعمتم؟

الوقفة السادسة:

كيف صعبتم على رب العالمين، وأرحم الراحمين، وأقدر القادرين أن يغفر ذنب عبده آدم، وجعلتم هذا الذنب مرضاً وراثياً في ذريته لم يقدر الرب أن يغفره ويمحوه إلا بقتل بريء هو في زعمكم ابنه الوحيد؟! فإن أجزتم سريان الذنب في ذرية آدم مع عدم صحة ذلك، فلم بنيتم على هذا الخطأ العظيم خطيئة عظمى وهي نسبة الشريك والولد إلى الله تعالى. وهذا يشبه غسل موضع طاهر بالبول لتوهم نجاسته.

الوقفة السابعة:

إذا كان تثليثكم هذا هو التوحيد كما تزعمون فبماذا تسمون توحيد نوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء الذين لم تنطق ألسنتهم بكلمة الآب والابن والروح القدس قط؟ أتقولون إنهم غير موحدين؟ أم تقولون إنهم موحدون؟ إن قلتم غير موحدين فذلك كفر شنيع، وإن قلتم موحدون فلا شك أن توحيد الأنبياء غير توحيدكم، فهل تقولون إن التوحيد ليس بواحد، وأن لكل أمة توحيداً يخصها؟ فنقول إن توحيدنا هو توحيد الأنبياء جميعاً، فانسبوا لنا توحيدكم من أي رسول تلقيتم؟ إنكم لن تجدوا إلا رسولكم بولس.

الوقفة الثامنة:

زعمتم أن الخطيئة سرت في بني آدم عن طريق الوراثة،

هب أن ذلك صحيح كالأمراض الوراثية، فكيف امتص المسيح ما سرى في البشر؟ هل امتص من جميع البشر أولهم وآخرهم، أحيائهم وأمواتهم، أرواحهم ونطفهم، أو ممن كان في عصره أو ممن سبقوه، أو ممن يأتي بعده؟؟؟ وكيف ذلك؟ هاتوا برهانكم على هذه العقيدة التي لا توجد إلا في خيالات الوثنيين.

الوقفة التاسعة:

زعمتم أن الرب له ولد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وزعمتم أنه جاء إلى الأرض بعد أن تأنس في بطن مريم ليموت على الصليب لتلك المهمة. فلم كان ذلك الخوف والحزن والتضرع والصلاة المتكررة وإظهار الجزع والأسف من المسيح وهو الذي جاء ليموت على الصليب؟! هل في هذا الاضطراب ندم وتراجع عما نزل من أجل تنفيذه؟ أو أنه لم يخبره الآب بالأمر أصلاً حيث زجه في أمر لا علم له به، ولا استعداد له لتنفيذه؟!

الوقفة العاشرة:

ما ذكرتم من التضرع والصلاة والدعاء، توجه بها المسيح إلى الرب يطلب منه أن ينجيه. أفلا يدل ذلك على أنه يتوجه بالدعاء إلى من يملك النفع والضر ليصرف عنه الكرب الذي أحاط به، لأن الله وحده هو الذي يملك صرف ذلك عنه، وهو لا يقدر أن يدفع عن نفسه مكر الماكرين وكيد

الكائدين؟! ولو كان إلهاً قديراً لما خاف من أحد ولما دعا أحداً، فإن الإله الحق يدعى ولا يدعو.

الوقفة الحادية عشرة:

إذا كان الصلب والقتل مراده المحبوب الذي جاء من أجله وسعى إليه، فلماذا اعتبر يهوذا الإسخريوطي الذي أعانه على تحقيق مراده بتسليمه إلى الأعداء، خائناً للمسيح كما زعمتم؟! مع أنه سبق ذكر ما يدل في رواياتكم على أن المسيح هو الذي عرف بنفسه إلى من جاء للقبض عليه ولم يكن ليهوذا الإسخريوطي أي يد في ذلك. ولو فعل ذلك لم يكن مستحقاً للذم لا هو، ولا اليهود، ولا الحاكم الروماني، بل الجميع يستحقون المدح والثناء، والشكر والحب والدعاء، لأنهم كانوا سبباً في هذا الخير العميم؟! بل الذي يستحق الذم هو بطرس الذي سل سيفه فضرب به عبد رئيس الكهنة حتى قطع أذنه مقاوماً اعتقاله الذي هو مرغوبه ومحبوبه.

الوقفة الثانية عشرة:

ذكرتم أنه ظهر للنسوة وللتلاميذ بعد الصلب، وأنه قال لمريم المجدلية حينما اقتربت منه: "لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي وأبيكم ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني لم أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" [1]. وذكرتم أنه اجتمع بالتلاميذ وأكل معهم، وشاهدوه مرات عديدة.

---

(1) يوحنَّا: ٢٠: ١٧.

فكيف لا تزالون تعتقدون أنه صلب ومات، وقد جلس مع التلاميذ وتحدث معهم وأكل وشرب كما زعمتم؟!

الوقفة الثالثة عشرة:

رويتم أن المسيح كان يكرر أنه سوف يتألم ويصلب ويقوم من قبره بعد ثلاثة أيام. وكان ذلك مما علمه التلاميذ قاطبة لكثرة ما يكرر عليهم هذا الأمر، فلماذا لم يصدق التلاميذ النسوة اللاتي أخبرنهم بقيام المسيح من القبر؟ يقول لوقا: "ورجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله. وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتي قلن هذا للرسل فتراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن"[(1)]. إذا كان المسيح قد أخبرهم بهذا قبل أن يكون فلماذا واجهوهن بعدم التصديق واعتبروا كلامهن كالهذيان؟! وقد أكد عدم التصديق مرقس أيضاً حيث قال: "فلما سمع أولئك أنه حي وقد نظرنه لم يصدقوا"[(2)]، وقد ذكر مرقس مريم المجدلية فقط ولم يذكر معها نسوة أخريات. ويضيف مرقس فيقول: "وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية، وذهب هذان، وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين. أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام"[(3)].

---

(١) لوقا ٢٤: ٩-١١.

(٢) مرقس ١٦: ١١.

(٣) مرقس ١٦ : ١٢-١٤.

أعود فأقول: إذا كان صلبه وموته ودفنه وقيامه من القبر بعد ثلاثة مما عرفه التلاميذ قاطبة لجهره بذلك وتكرره، فلم كان عدم التصديق بقيامه بعد أن أخبروا؟

الوقفة الرابعة عشرة:

ذكروا أن المسيح ظل يخبرهم أنه سيتألم ويقتل ويقوم بعد دفنه من القبر بثلاثة أيام، وأن ذلك تكرر الحديث عنه مرات عديدة، ومع ذلك لم يصدقوا بقيامه حينما سمعوا كما مضى. ولكن هنا ملاحظة أخرى جديرة بالتوقف والتأمل فيها: وهي رواية يوحنا التي تقول عن مسألة قيامه من القبر: "لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب إنه ينبغي أن يقوم من الأموات"[(١)].

فكم من مرة رووا عنه أنه قال لهم ذلك مؤكداً بعبارات مختلفة لا تدع مجالاً للشك أو النسيان؟ فإما أن تكون تلك الروايات العديدة عن الصلب والقتل قبل أن يكونا غير صحيحة، وهو الحق الذي لا ريب فيه، وإما قصة عدم التصديق غير صحيحة. وهذا فيها تفصيل. أما القيام من القبر فأمر غير صحيح تبعاً لأن قتله وصلبه لم يقعا. وأما رؤية النسوة وغيرهن له حياً بجسده صحيحاً معافى، فأمر محتمل للصدق والكذب، أي إنه بعد نجاته من القبض عليه يحتمل أنه ظهر لبعض الخواص. والله تعالى أعلم بالصواب.

---

(١) يوحنا: ٢٠: ٩.

الخاتمة

لقد تناول هذا البحث موضوعاً في غاية الأهمية، وهو موضوع العقيدة. فالعقيدة هي أساس كل دين، وهي التي توجب العمل وتدفع إليه. فبقدر ما تكون العقيدة قوية في نفس معتقدها، يكون عمل الجوارح قوياً، وكذلك العكس. ولكن معيار صحة العقيدة ليس في شدة التمسك بها أو التعصب لها، أو العمل بما تدعو إليه، ولكن بما تقوم عليه وتستند إليه، وتنطلق منه من الأدلة الصحيحة في مبناها ومعناها، وصدورها من مصدر معصوم لا يتطرق الشك إلى صدقه. وقد رأينا في هذا البحث أن العقيدة النصرانية مع كثرة من يعتنقها من البشر ويتعصب لها، ويدعو إليها، ليس لها سند صحيح تستند إليه، ومصدر معصوم تعتمد عليه.

وإن الأناجيل الأربعة التي يرونها مصدر عقيدتهم في المسيح تحمل في نصوصها قذائف تقتلعها من جذورها، وتثبت بعبارات صريحة لا تقبل التأويل والتبديل أن الله تعالى وحده هو الإله الحق، وأن المسيح عليه السلام عبده ورسوله، وأن الإيمان بهذه العقيدة هو الذي يورث المؤمن الحياة الأبدية " وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته " (يوحنا ١٧:٣). ولو لم يأت في الأناجيل الأربعة غير هذا النص الصحيح في معناه، الصريح في مغزاه، لكفى به دلالة على

توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، وعلى رسالة المسيح وبشريته وعبوديته . ولكن الأناجيل الأربعة حوت من الأدلة الصريحة في هذا المعنى عشرات من النصوص . وقد تم عرض عدد كثير منها في هذا البحث، وبقي الكثير مما يماثلها من النصوص، هي مجال لبحوث الباحثين من أصحاب الدعوة إلى العقيدة من علماء هذه الأمة وذوي الغيرة على دين الله ، ومكانة أنبياء الله تعالى التي من بينها مكانة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، الذي ينبغي أن ينصف بإعادة النظر في ما روت عنه الأناجيل، ونسبت إليه من الصفات البشرية المحضة التي لا تشوبها شائبة الألوهية أو المَلكية . وقد يظن من وصفوه بصفات فوق صفاته البشرية أن ذلك راجع إلى حبه عليه السلام، وليس الأمر كذلك؛ فوصف المرء بما ليس فيه من صفات المدح إهانة له وذم، لأن مادح المرء بما ليس فيه رأى أن خلوه من تلك الصفات نقص، فأراد أن يكمل نقصه بوصفه بتلك الصفات، فوصفه بما ليس فيه . ولو قيل لجاهل إنك لمن العلماء، أو قيل لفقير إنك لمن الأغنياء؛ لما سره ذلك لعدم مطابقته للواقع، مع أن الصفتين في حقيقتهما ليستا صفتا ذم، ولكن وصف من خلا منهما بهما يدل على الذم . وهذا ما فعله النصارى بعيسى بن مريم عليه السلام . وأما المسلمون فقد وصفوه عليه السلام بما وصفه به ربه، ووصف المسيح به نفسه، وهو أنه ابن الإنسان، وعبد الرحمن ، ورسوله الذي دعا قومه إلى عبادة

الله وحده لا شريك له . وهم بهذا أحب الناس لعيسى بن مريم ، وأولاهم به من الذين يتمسحون باسمه ويزعمون أنهم أصحابه وأحبابه وليسوا كذلك .

إن الغاية التي كتب هذا البحث من أجلها في دراسة الأناجيل ، وإبراز ما جاء فيها من صفات المسيح من خلال نصوصها ، دعوة النصارى إلى دين الله تعالى الذي دعت إليه جميع الرسل ، منذ نشأة البشر ، من غير أن يكون هناك تجريح أو تقبيح أو تحامل أو جدال عقيم ، وإنما عرض فيه حوار هادئ هادف إلى بيان الحق ، وتنبيه لمن غفل عنه إلى النظر والتأمل والأخذ به من غير تعصب .

وقد تم في هذا البحث بيان الأمور الآتية :

الأمر الأول : بيان أن المسلمين يؤمنون بالإنجيل المنزل من عند الله على عيسى ابن مريم عليه السلام .

الأمر الثاني : بيان أن الإنجيل المنزل غير موجود، لا في أيدي النصارى ، ولا في أيدي المسلمين .

الأمر الثالث : بيان أن الأناجيل النصرانية الأربعة ليست هي الإنجيل المنزل ، ولا هي مما كتب عيسى عليه السلام أو تلاميذه .

الأمر الرابع : بيان أن هذه الأناجيل الأربعة كتب تم وضعها بعد رفع المسيح عليه السلام ، وهي كتب وضعت في سيرته .

الأمر الخامس: بيان أن الأشخاص الذين نسبت إليهم ليس في الدراسات الفاحصة من قبل المنصفين ما يثبت أنهم هم الذين كتبوها.

الأمر السادس: بيان أن التواريخ التي كتبت فيها مختلف فيها اختلافا كثيرا، مما يجعل المنصف يجزم بالجهل المطبق بتاريخ كتابتها.

الأمر السابع: بيان أن اللغات التي كتبت بها هذه الأناجيل في بداية أمرها غير معلومة على سبيل اليقين من أحد، وإنما عرفت بلغات ترجمت إليها.

الأمر الثامن: بيان أن الذين قاموا بترجمتها من اللغة الأصلية غير معروفين، وأنها لم تكن تعرف إلا مترجمة.

الأمر التاسع: بيان أن بعض نصوصها يناقض بعضها غاية المناقضة بحيث لا تطمئن إليها قلوب المنصفين من أهل العلم والدين.

الأمر العاشر: بيان أن الاعتماد على نصوصها المخالفة لأصول الرسالات الإلهية والعقول السوية في بناء أصول الاعتقاد، مجانب للصواب، ومخالف لمناهج أولي الألباب.

الأمر الحادي عشر: بيان أن ما يثبت من نصوص هذه الأناجيل بشرية المسيح وعبوديته ونبوته ورسالته وعدم صلبه أكثر وأوضح مما يثبت خلاف ذلك منها.

الأمر الثاني عشر : بيان أن هذه الأناجيل على علاتها تبين الفرق بين صفات الله تعالى وصفات المسيح بكل وضوح وجلاء، مما ينافي ألوهيته بصريح العبارات .

الأمر الثالث عشر : إن نصوص الأناجيل التي تحدثت عن القبض على المسيح وصلبه، نصوص مضطربة، لا تثبت بها عقيدة كهذه التي يؤمن بها النصارى .

وببيان هذه الأمور في هذا البحث والوقوف عليها، يرجى أن يتبين لأهل الإنصاف من النصارى أن العقيدة الصحيحة لا تبنى إلا على أسس صحيحة من نصوص الوحي الثابتة بسند صحيح، وقول من المعصوم صريح، وأن ما هم عليه من الدين المبني على بعض نصوص هذه الأناجيل مبني على نصوص قليلة مأخوذة من كتب غير صحيحة الثبوت، وأن ما فيها من نصوص أخرى تضاد عقيدتهم في المسيح على سبيل التوضيح والتصريح أكثر من تلك التي اعتمدوا عليها في استنباط الاعتقاد المخالف لما دعت إليه الرسل وأنزلت به الكتب، واستسلمت له العقول السوية منذ عهد آدم عليه السلام .

وإننا ندعو النصارى إلى أن يراجعوا هذه الأناجيل مراجعة دقيقة منصفة في تدبر وتفقه، فسيجدون إن فعلوا ذلك أن المسيح عليه السلام بشر محض خلقه الله من أمه

العذراء البتول من غير أب كما خلق آدم من غير أب، وأنه أرسله الله بالهدى والنور إلى بني إسرائيل خاصة لا إلى الناس كافة، كما أرسل من قبله من الرسل بالبينات والهدى، وتوحيد الله تعالى إعتقادا وقولا وعملا.

فليعلموا أنه لم يثبت من خلال قراءة نصوص هذه الأناجيل ما يؤكد القبض عليه وصلبه، بل القرآئن دالة على عدم القبض عليه أو صلبه، فمن تلك القرآئن:

١- لشك المنسوب إلى جميع التلاميذ على لسان المسيح عليه السلام، حيث قال لهم في تلك الليلة: "كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة" (متى ٣١:٢٦).

٣- غلبة النوم التلاميذ كلهم في تلك الليلة حتى عجب المسيح من ذلك ووبخهم حسب رواية متّى وغيره حيث قال: "ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً فقال لبطرس: أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف فمضى أيضا ثانية وصلى... ثم جاء فوجدهم أيضا نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة فتركهم ومضى... ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم: ناموا الآن واستريحوا" (متّى: ٤٠:٢٦-٤٥).

٣- لقد جاء أيضا أن التلاميذ تركوه بعد ذلك وهربوا جميعا بعد ما تم القبض عليه حسب الرواية، فأين من شاهد ما

آل إليه أمره من التلاميذ؟ يقول متّى في ذلك: "حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا" (متّى ٢٦: ٥٦). وبمثل هذا يقول مرقس: "فتركه الجميع وهربوا" (مرقس ١٤: ٥٠). وكذلك قال لوقا في نوم التلاميذ، ولم يذكر هربهم. ولكن يوحنا يحكي عن المسيح أنه قال لهم: "هوذا تأتي ساعة وقد أتت تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركونني وحدي" (يوحنا ١٦: ٣٢).

ومع أن بطرس زعم في روايته أنه كان متتبعا للمسيح من بعيد بعد القبض عليه، فإن في الرواية أيضا ما يدفع هذا الزعم؛ فمن ذلك: كلمتا "الكل والجميع" اللتين وردتا في النصين السابقين في الحديث عن هرب الجميع، إذ دلتا على أن التلاميذ هربوا بلا استثناء ويؤكد هذا ما ورد في رواية مرقس من أن بطرس نفسه هرب بطريقة تدل على الخوف الشديد والرعب والهلع وذلك حيث يقول: "وتبعه شاب لابسا إزارا على عريه فأمسكه الشبان فترك الإزار وهرب منهم عريانا"[1]. وهذا الشاب هو بطرس الذي ذكرت الروايات الأخرى أنه تتبع خطوات المقبوض عليه إلى النهاية، وهو هنا قد هرب مذعورا عاريا لا يلوي على أحد. وزد على هذا أنهم زعموا أن بطرس قد ضرب عبد رئيس الكهنة بالسيف ساعة القبض المزعوم على المسيح، فقطع

(١) مرقس ١٤: ٥١-٥٢.

إحدى أذنيه فلم يكن هناك أي رد فعل من جنود الرومان، ولا من اليهود على هذا العمل الذي يعتبر مقاومة للسلطة، ورفعا للسيف في وجهها، وهل مثل هذا المجرم -في نظرها- يجرؤ على تتبع الجنود والجموع التي قبضت عليه وهو الذي قاومهم وسفك دم واحدا منهم؟_

وبعد/

فأمَلي أن تكون هذه الدراسة قد وضحت لكل منصف متأمل متَدبر في هذه النصوص وأمثالها من أهل هذه الديانة؛ أنه ليس أحد من تلاميذ المسيح على علم ويقين بما جرى له تلك الليلة، وإن الذين أشاعوا صلبه وقتله هم اليهود الذين ادعوا صلبه وقتله بعد أن نجاه الله تعالى من أيديهم وألقى شبهه على غيره، فصلبوا ذلك الشبيه الذي ظنوا أنه هو، فأعلنوا بين الناس أنهم قتلوا المسيح وصلبوه، فلما سمع النصارى ما يردده اليهود من أنهم قتلوه وصلبوه؛ صدقوهم في هذا الادعاء، وبنوا على ذلك عقيدة الصلب من أجل الفداء، وهذا أمر لا نظير له في حياة الناس، إذ كيف صدقوا أعداء المسيح، وأعداء أتباعه، وأعداء أمثاله من الأنبياء، فيما أخبروا عنه من حادثة ما حضرها أحد من أصحابه وأحبابه، ولم يجرؤ على ذلك؟ وكيف استمروا على تصديقهم أيضا- وقد ظهر المسيح لخواص تلاميذه بعد ذلك حسب الرواية، مبينا لهم أنه لا يزال حيا، إن هذا لشيء عجيب!؟

فلينظر الإنسان المنصف الذي يهمه بناء أمور دينه على أساس متين؛ عمن يأخذ دينه الذي يبنى عليه صلاحه وهدايته في الحياة الدنيا، وفوزه ونجاته في الآخرة، أعن الأعداء الكائدين الماكرين، أم عن الرسل الصادقين الناصحين؟

هذا. وإن الهدف من هذا كله -كما سبق- دعوة النصارى إلى دراسة الأناجيل الأربعة دراسة فاحصة منصفة، مع دراسة أسفار العهد القديم التي يؤمنون بقدسيتها، والتي صرحت بتوحيد الله تعالى ووجوب عبادته وحده لا شريك له، وبينت أن ذلك هو وصية موسى لقومه، كما بينت الأناجيل أن ذلك أيضا وصية عيسى بن مريم لبني إسرائيل، ووصية الله تعالى للأولين والآخرين من بني آدم منذ نشأتهم؛ فليتقوا الله وليقولوا في عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم قولا سديدا، وليكونوا لله وحده لا شريك له موحدين وعبيدا صالحين.

والله تعالى أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يجعل عملي صوابا خالصا لوجهه الكريم، وينفع به النفع العميم، وصلى الله تعالى وسلم على محمد خاتم النبيين، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، ومن صدق في الإيمان بهم إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة البحث	٥
تمهيد	٢١
الإنجيل	٢٣
الأناجيل	٢٥
تقسيمات أسفار الكتاب المقدس عند النصارى	٢٨
الفصل الأول: دراسة الأناجيل النصرانية	٣٠
المبحث الأول : دراسة إنجيل متى	٣٣
المطلب الأول : متى صاحب الإنجيل	٣٣
المطلب الثاني : كاتب إنجيل متى	٣٥
المطلب الثالث : لغة إنجيل متى الأصلية	٣٧
المطلب الرابع : مترجم إنجيل متى	٣٨
المطلب الخامس : فقدان الأصل وجهالة المؤلف	٣٨
المطلب السادس : تاريخ كتابة هذا الإنجيل	٣٩
المبحث الثاني : دراسة إنجيل مرقس	٤١
المطلب الأول : مرقس صاحب الإنجيل	٤١
المطلب الثاني : كاتب هذا الإنجيل	٤٣
المطلب الثالث : لغة إنجيل مرقس الأصلية	٤٥
المطلب الرابع : تاريخ كتابة هذا الإنجيل	٤٦

الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث: دراسة إنجيل لوقا	٥١
المطلب الأول: كاتب هذا الإنجيل لم يصحب المسيح عليه السلام	٥١
المطلب الثاني: هوية كاتب هذا الإنجيل	٥٢
المطلب الثالث: لغة إنجيل لوقا الأصلية	٥٣
المطلب الرابع: تاريخ كتابة إنجيل لوقا	٥٣
المبحث الرابع: دراسة إنجيل يوحنا	٥٥
المطلب الأول: مقدمة هذا الإنجيل ومغزاها	٥٥
المطلب الثاني: كاتب هذا الإنجيل	٥٦
المطلب الثالث: لغة إنجيل يوحنا الأصلية	٦٠
المطلب الرابع: تاريخ كتابة إنجيل يوحنا	٦٠
المبحث الخامس: الأناجيل النصرانية في ميزان البحث العلمي	٦٣
المطلب الأول: الأناجيل أمام متطلبات العقل ومسلماته	٦٣
المطلب الثاني: شروط صحة نسبة الكتب إلى مصادرها	٦٥
المطلب الثالث: الأناجيل الأربعة فقدت شروط القبول	٦٦
المطلب الرابع: مجمل ما قيل في هذه الأناجيل	٦٧
المطلب الخامس: نسخ الأناجيل وتواريخ العثور عليها	٦٩
المطلب السادس: أمثلة يسيرة تثبت تحريفاً في الترجمة في كتبهم	٧٤

الموضوع	الصفحة
المبحث السادس : تضارب نصوص الأناجيل	٧٩
المطلب الأول : في نسب المسيح عليه السلام	٧٩
المطلب الثاني : في حادثة المرأة الأمية	٨١
المطلب الثالث : في قصة المسيح مع موسى وإيليا (إلياس) عليهم السلام	٨٥
المطلب الرابع : تناقض رواية لوقا في أمر السلام	٩٠
المطلب الخامس : تناقض لوقا ومتى في قصة اعتماد المسيح	٩١
الفصل الثاني: نصوص الأناجيل التي بنيت عليها عقيدة النصارى في المسيح وما ينافيها	٩٣
المبحث الأول : وصف الرب بالأبوة والمسيح بالبنوة في الأناجيل	٩٥
المطلب الأول : صيغ إطلاق صفة البنوة على المسيح في الأناجيل وأنواعها	٩٥
المطلب الثاني : إطلاقات الأناجيل كلمة الابن على المسيح وأنواعها	٩٨
المطلب الثالث : وصف الشياطين عيسى بالبنوة	١١٣
المطلب الرابع : المسيح بين مراده بصفة البنوة	١١٤
المطلب الخامس : معنى البنوة الواردة في وصف المسيح	١١٦
المطلب السادس : الصالحون يكتسبون البنوة	١٢١

الموضوع	الصفحة

المطلب السابع : إطلاق الأناجيل كلمة (الآب) على الله تعالى ١٢٧
المطلب الثامن : صيغ وصف الله تعالى بالأبوة في الأناجيل ١٢٩
المطلب التاسع : تأليه المسيح من نتاج أفكار المبتدعين ١٣٧
المطلب العاشر : المسيح ينكر على بطرس وصفه بالربوبية والألوهية ١٤٠
المبحث الثاني : الفرق بين صفات الله وصفات المسيح ١٤٧
المطلب الأول : النصارى يساوون المسيح بالله وهو ينفي ذلك ١٤٧
المطلب الثاني : محبة المسيح تابعة لمحبة الله ومغايرة لها ١٥٩
المطلب الثالث : المسيح ينفي أن يكون هو الله ١٦٥
المطلب الرابع : المسيح نفى أن يقتل بأيدي اليهود ١٦٧
المطلب الخامس : إن الله تعالى أعظم من المسيح ١٧٢
المبحث الثالث : صفات المسيح في نصوص الأناجيل ١٧٥
المطلب الأول : عبودية المسيح عليه السلام وبشريته ١٧٥
المطلب الثاني : نبوة المسيح كما في الأناجيل ١٧٦
المطلب الثالث : رسولية المسيح كما في الأناجيل ١٨٣
المطلب الرابع : نصوص من الأناجيل تثبت رسالة المسيح ١٨٤
المطلب الخامس : رسالة المسيح إصلاحية وليست نصرانية ١٩١

الموضوع الصفحة

المبحث الرابع: روايات الأناجيل في القبض على المسيح وصلبه وقيامته ١٩٥
المطلب الأول: روايات الأناجيل لقصة المصلوب وتناقضها فيها ١٩٥
المطلب الثاني: تنافر الروايات فيما قاله الحاضرون له عند الصلب المزعوم ١٩٦
المطلب الثالث: إجابة المسيح الحاكم الروماني بيلاطس ١٩٨
المطلب الرابع: في ذكر متّى لجلد المسيح وعدم ذكر غيره ١٩٩
المطلب الخامس: تناقض الأناجيل في رواية قول اللصين له ٢٠٠
المطلب السادس: خروج الموتى من قبورهم وعودتهم إلى المدينة عند موت المصلوب ٢٠١
المطلب السابع: الروايات الأناجيلية المنافية للصلب ٢٠٢
المطلب الثامن: ليلة الشك الأكبر ٢٠٢
المطلب التاسع: هل تم تقبيل يهوذا الاسخريوطي المسيح؟ ٢٠٦
المطلب العاشر: هل التلاميذ يعرفون ما سيجري للمسيح؟ ٢٠٧
المطلب الحادي عشر: هل خنق يهوذا الإسخريوطي نفسه ندماً؟ ٢٠٨
المطلب الثاني عشر: ساعة الصلب ٢٠٨
المطلب الثالث عشر: إلقاء النوم على التلاميذ يؤكد الشك ٢٠٩
المطلب الرابع عشر: تضارب الروايات في عدد النسوة اللاتي زرن القبر ٢١٢

الموضوع	الصفحة
المطلب الخامس عشر: من الذي دحرج الحجر عن القبر؟	٢١٣
المطلب السادس عشر: من الذي ظهر للنسوة عند القبر؟	٢١٤
المطلب السابع عشر: تمحيص لفكرة الصلب من أجل الفداء في وقفات	٢١٥
الخاتمة	٢٢٥
الفهرس	٢٣٥
المراجع	٢٤١

المراجع

المرجع	المؤلف
القرآن الكريم	كلام الله المنزل
الله طرق إعلانه عن ذاته	عوض سمعان
أخبار الأيام الثاني	من العهدالقديم
الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام	علي عبد الواحد وافي
الأسفار المقدسة قبل الإسلام	صابر طعيمة
إظهار الحق	رحمة الله الهندي
إنجيل متى	من العهد الجديد
إنجيل مرقس	من العهد الجديد
إنجيل لوقا	من العهد الجديد
إنجيل يوحنا	من العهد الجديد
تاريخ الإنجيل والكنيسة	أحمد إدريس
تاريخ الأمة القبطية	لجنة تأليف التاريخ القبطي
التجسد	فرنسيس فريبه
تفسير العهد الجديد	وليم باركلي
تفسير القرآن العظيم	أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي

المرجع	المؤلف
التوراة السامرية	من العهد القديم
دائرة المعارف الكتابية	مجلس تحرير (مجموعة)
دراسة الأناجيل الأربعة والتوراة	محمد السعدي
دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس	محمد عبد الحليم أبو السعد
دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة	موريس بوكاي
ديوان ابن الفارض	عمر بن أبي الحسن
ديوان البوصيري	محمد بن سعيد بن حماد البوصيري
سفر أخبار الأيام الثاني	من العهد القديم
سفر أرميا	من العهد القديم
سفر التثنية	من العهد القديم
سفر التكوين	من العهد القديم
سفر المزامير	من العهد القديم
سفر الملوك الثاني	من العهد القديم
سنن أبي داود	سليمان بن الأشعث السجستاني
سنن النسائي	أحمد بن شعيب بن علي النسائي
السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم	مجمع الكنائس في الشرق الأدنى
صحيح البخاري	محمد بن إسماعيل البخاري

المرجع	المؤلف
صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
صحيح سنن أبي داود	محمد ناصر الدين الألباني
صحيح سنن النسائي	محمد ناصر الدين الألباني
الفارق بين المخلوق والخالق	عبد الرحمن بن سليم البغدادي
قصة الحضارة	ول ديوراندت
الكتب المقدسة في ميزان التوثيق	عبد الوهاب عبد السلام طويلة
الكنيسة المسيحية في عهد الرسل	الأنبا يؤانس
محاضرات في النصرانية	محمد أبو زهرة
معجم اللاهوت الكتابي	مجموعة من المؤلفين
مفاتيح كنوز الأسفار	متى بهنام
مقارنة الأديان	أحمد شلبي
مقدمة ابن خلدون	عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون
يسوع المسيح شخصيته تعاليمه	بولس إلياس

{طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي}